

****

علامات الساعة, وفاة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام, انقطاع الوحي من السماء, رفع القرآن الكريم, غربة المسلمين, الملحمة الكبرى.

تأليف وجمع وتحقيق العبد الفقير إلى الله
علي ألموالي

****

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

ان الذي دفعني للكتابة في هذا الباب الساعة وعلاماتها رغم كثرة الكتابات عن نفس الموضوع والتي تتكلم عن الساعة وعلاماتها واهوالها, وذاك اني وجدت من خلال اطلاعي بالعقائد الاخرى انها عقيدة ثابتة عند اليهود والنصارى, وان هناك كتابات كثيرة وحتى محاضرات واغلبها تنذر وتبشر وبالذات بعودة المسيح عليه السلام وكذلك قوم يأجوج ومأجوج لهم اهمية كبيرة عندهم وان هناك اختلاف كثير في قضية احوالهم وبعثهم فالكل ينتظر عودة عيسى عليه السلام والبعض يراه المهدي والبعض يسميه المخلّص للبشرية, فاحببت ان اجمع في مقارنة بين نظرة العقائد الاخرى ومفهوم الساعة وعلاماتها وكيف يرى المسلمين عودة المسيح عليه السلام والتسلسل الغير مؤكد ولكن كما وضعته بعض الاحاديث في سياق تسلسلي اشبه بالترتيب من خلال السنة النبوية الشريفة والاحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد يشاءالله تعالى ان اترجم هذا الكتاب في المستقبل الى لغات اخرى حتى يتعرف المهتمين من العقائد الاخرى بهذه الاحداث المهمة وما هو رأي الاسلام فيها.

وللحق ان هناك الكثير ما كتب في هذا الباب وقد تعمق فيه الكتّاب وللحق ايضا اصبح للكثير هذه المواضيع مجرد تراث وقصص يراها الناس بعيدة التحقيق وانها تتعلق بازمنة اخرى

وانه لم يتحقق شيئا من علامات الساعة الصغرى فما الذي يدفع البشر كي يشغلوا انفسهم بعلاماتها الكبرى؟

ادخلت على هذا الكتاب مقتطفات من كتاب لاحد المختصين في موضوع التفاضل بين البشر كتاب (التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة) "دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة" الدكتور: (إبراهيم أحمد الديبو), وللحق لم يسعني ان اضيف الكثير عليه فجزاه الله عنا كل خير فقد سلط الضوء على مسئلة مهمة متجذرة في البشر وعنصريتهم للعرق والطائفة وارتباطها بالدين والخالق والكل وضع نفسه في مكانة مقربة من الإله ودائما على حساب العروق والطوائف الاخرى وهذا نوع من التسامي والتعالي الذي لا يمكن ان يكون له علاقة بالإله الخالق العادل.

والسؤال الذي غاب عن قلوب الكثيرين هل اخبار الساعة وعلاماتها جزء من عقيدة المسلمين وهل هم مكلفين بمعرفتها وهل هي من المعلوم بالضرورة؟
حاولت ان اذكر رأي العلماء في هذا الباب والذي هو جزء من عقيدتنا السمحاء وان الايمان بالله لا يتجزء وانه ليس هناك قضايا اسلامية او امور هي فقط من اختصاص الباحثين والعلماء والفقهاء بل هي شؤون دينية وجزء من الايمان بالله تعالى وانه ليس هناك مكان لعابد لا يرغب من هذا الدين الا كيفية الوضوء والصلاة الا من رغب ان يعبد الله على جهل ولا يهمه شؤون دينه.

لماذا يعاد تجديد هذا الموضوع؟
هل اصبح اولوية واننا فعلا على مشارف الساعة وانه قد تحقق شيئا من اشراطها واننا قد نفاجئ في غفلة بعلامة من العلامات الكبرى وكما ورد في اغلب ايات القرآن الكريم التي تتكلم عن العذاب انها لا تاتي الا بغتة.
اسال الله التوفيق وان يعينني على ترجمة هذا الكتاب يوما ما.

العبد الفقير إلى الله
علي أرشيد فلاح الموالي الحميدان السردي.

مقدمة الكتاب.

كما نعلم جميعا انه بدأت معرفة البشر بربهم وخالقهم سبحانه وتعالى والذي عرّف نفسه للبشر من خلال الانبياء والرسل على انه الإله الخالق الواحد وانه من بيده وحده علم الساعة وان هناك يوم قيامة وحساب وجنة ونار وان الارض فانية لا محالة كباقي المخلوقات ولا يبقى الا وجه الله تعالى الخالق الحي الذي لا يموت.

بدات هذه العلاقة بين الخالق والمخلوق بين الله تعالى وبين خلقه والذين سوف يعمروا الأرض ويكونوا واحد من أسباب الحياة عليها, انه الله سبحانه وتعالى المقدم لكل خير وهو كل الخير الذي فيه البشرية.
بدأت هذه العلاقة بالرسل وكان أول الرسل هو ادم عليه السلام, وهو أول إنسان يطأ الأرض ويكون أو الرسل إليها لمن سيأتي من ذريته ولمن كان يسكن الأرض من قبل من غير الجنس البشري وبمهمة جليلة هي إعمار الأرض وبمهمة عظيمة يتعرف فيها الثقلين على ربهم الذي خلقهم.

وانتهت هذه العلاقة المباشرة أيضا برسول من رسل الله محمد عليه الصلاة والسلام كآخر نبي ورسول ومبعوث من الله تعالى رحمة للعالمين فختم بذلك باب النبوة وأعلن نهاية تبليغ الرسالة التي تواصلت من خلال الرسل عليهم السلام!
فكانت وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي الحدث الأهم في سيرته وفي تاريخ البشرية، وذاك ان وفاته ليست كوفاة سائر

الناس، ولا حتى كسائر الأنبياء والرسل فبموته عليه الصلاة والسلام انقطعت النبوات، وانقطع خبر السماء ووحي الله عن الأرض، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظم هذه المصيبة التي حلت بالمسلمين فقال: **(يا أيها الناس: أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي)** رواه ابن ماجه .

قال السندي: " (فليتعزّ) ويخفِّف على نفسه مؤونة تلك المصيبة بتذكّر هذه المصيبة العظيمة، إذ الصّغيرة تضمحلّ في جنب الكبيرة ،فحيث صبر على الكبيرة لا ينبغي أن يبالي بالصّغيرة ".

اصبر لكل مصيبة وتجلَّد واعلم بأن المرء غير مخلَّد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نُوبٌ تنوب اليوم تكشف في غد
أوَ ما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد
فإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

نعم فكل مصيبة تهون برحيل محمد عايه افضل الصلاة والسلام, وعند نهاية العلاقة الإلهية المباشرة مع الإنسان من خلال الوحي والرسل والأنبياء تعني نهاية التكريم للمخلوقات والتشريف الإلهي لهم, فوجود الرسل والأنبياء وتواصل الوحي معهم ونزول الكتب السماوية كلها كانت آيات تشريف وتكريم لهم وعلاقة في أسمى أوضاعها وأوقاتها!

رحل الحبيب بعدما أثبتت الحجج على الخلق أجمعين من الجن والأنس وتمت نعم الله الجليلة من خلال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن خلال الكتب السماوية التي أنزلت والآيات المعجزات التي تحققت وبهذا تمت النعمة وأثبتت الحجة فلم يعد بعد ذلك للخلق حجة على الله بعد الرسل!!

وماذا بعد ذلك وماذا بقي من تلك العلاقة؟

بقى الكتاب الكريم المنزل على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم, وسنة النبي الكريم التي سنّها على العباد من خلال الكتاب الكريم ومن خلال الوحي فهو الذي قال فيه ربه في سورة النجم **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4).** ولنا وقفة مع رحيل أَخر الرسل نبي الله المصطفى ووفاته التي كانت اكبر الأحداث واهم الأخبار في السماوات والأرض, وسنعود بعدها للكتاب والسنة الشريفة التي بقيت بعد رحيل الحبيب عليه الصلاة والسلام.

وفاة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

كان الخير كل الخير يعم المعمورة بوجود الحبيب والمصطفى من خلق الله تعالى محمد بن عبدا لله عليه الصلاة والسلام من بين الخلق الساكنين على الأرض, فما رأت الأرض خيرا كذاك الخير ولا أشرقت بنور ربها كذاك اليوم الذي بُعث فيه رحمة للعالمين, رسول الهدى الذي قال فيه أنس رضي الله عنه**: (فما رأيت يوما قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر المدينة، وشهدت وفاته فما رأيت يوماً قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه) [أحمد (11825)].**

رحل الحبيب بعد أن أدى الأمانة ونصح الأمة ورفع الغمة وبلغ الرسالة مشهدا الله سبحانه وتعالى على شهادة الصحب الكريم بأنه قد بلغ الرسالة واكتمل الدين وتمت النعمة بفضل الله,
رحل وكان رحيله رسالة عظيمة تحمل من المعاني الكثير أدركها من أدركها وغفل عنها الكثيرين إلى يومنا هذا, رحل ورحيله كان رسالة فيها من الإنذارات والدلالات بان لا أنبياء ولا رسل ولا وحي ولا فرص أخرى بعد الإسلام وبعد رحيل محمد صلى الله عليه وسلم وبعد نزول القرآن الحكيم, ولم يبقى إلا الزمن الفاصل بين اكتمال الرسالة وبين الساعة والساعة تسيرا بأمر من له الأمر إلى موعدها ورحيل الحبيب علامة من علامات اقترابها ولعل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوضح ذلك: عن عُمرُ بنُ الخطاب صلى الله عليه وسلم أيضاً قال:

(بينما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ، إذْ طَلَعَ علينا رَجلٌ شديدُ بَياضِ الثِّياب. شديدُ سوادِ الشَّعَرِ. لا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَرِ. ولا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حتى جلسَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم. فأَسْنَدَ رُكبتيهِ إلى رُكبتيهِ. وقال: كَفَّيهِ على فخِذَيهِ. وقال : يا محمدُ ! أخبرني عن الإسلامِ ؟ فقالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: [الإسلامُ أَن تَشهدَ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رَسُولُ اللهِ. وتُقيمَ الصلاةَ. وتُؤتِيَ الزَّكَاةَ. وتَصومَ رمضَانَ. قال:حجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليهِ سَبيلاً] قال: صدَقْتَ. قال: فعجبْنا لَهُ يَسأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ.
قال:فأخبرني عن الإيمان ؟ قال: [أن تُؤْمنَ باللهِ، وملائِكَتِهِ، وكُتُبَهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ. قال:منَ بالقَدَرِ خيرهِ وشَرِّهِ] قال: صَدَقْتَ.
قال: فأَخبرني عنِ الإحسانِ؟ قال: [أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. قالْ: لم تَكُنْ تَرَاهُ، فإِنَّهُ يَرَاكَ].
قال:فأخبرني عن الساعةِ ؟ قال:[ما المَسئُولُ عنها بأَعْلَمَ من السَّائِلِ].
قال : فأخبرني عن أمَارَتِهَا ؟ قال: [أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا. قال:تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ، العَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتطاوَلُونَ في البُنْيَانِ].
قال : ثُمَّ انطلقَ . فَلَبثْتُ مَلِيَّاً. ثُمَّ قال لي: [يا عُمَرُ ! أَتَدْرِي مَن السَّائِلُ ؟] قُلتُ : اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال: [فإنَّهُ جِبْرِيلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ]) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي،

وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. [البخاري (4982)، مسلم (3016)].

هذه كانت أول علامات الساعة وأنها اقرب إلى النهاية من البداية, انتهى أخر فصول الخير وكان ربيعا عاشته الأرض بصُحبة خير الرسل وخاتمهم, فان كان لأهل الأرض مكانة وتقديرا فقد وصلهم أفضل وأعظم هدايا السماء وما بعد ذلك سوى خير ورحمة الرحمن الرحيم بمن اتّبع الرسول المبعوث رحمة للعالمين لكنها مهما تكن ليس سوى قطرات من بحر الخير الذي فاضت به الأرض يوم كان الحبيب على ظهرها.
إنذارات تعددت, ورسائل إلى أصحابها وصلت وعلامات كثيرة منها قد أثبتت فماذا بعد ذلك؟
جاء في تفسير الطبري رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ, (1) سورة النحل)**
قوله تعالى { أتى أمر الله فلا تستعجلوه} قيل { أتى} بمعنى يأتي؛ فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك. وقد تقدم أن أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة، كقوله { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار} [الأعراف: 44]. و { أمر الله} عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله. قال الحسن وابن جريج والضحاك : إنه ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه. وفيه بعد؛ لأنه لم ينقل أن أحدا من الصحابة استعجل فرائض الله من قبل أن تفرض عليهم، وأما مستعجلو العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم، حتى قال النضر بن الحارث { اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك}

الآية، فاستعجل العذاب. قلت : قد يستدل الضحاك بقول عمر رضي الله عنه : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر؛ خرجه مسلم والبخاري. وقال الزجاج: هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم، وهو كقوله { حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور} [هود: 40]. وقيل: هو يوم القيامة أو ما يدل على قربها من أشراطها. قال ابن عباس: لما نزلت { اقتربت الساعة وانشق القمر} [القمر: 1] قال الكفار: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون، فأمسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا، فقالوا: ما نرى شيئا فنزلت { اقترب للناس حسابهم} [الأنبياء: 1] الآية. يقول: وانتظروا قرب الساعة، فامتدت الأيام فقالوا: ما نرى شيئا فنزلت { أتى أمر الله} فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخافوا؛ فنزلت { فلا تستعجلوه} فاطمأنوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار بأصبعيه: السبابة والتي تليها. يقول : (إن كادت لتسبقني فسبقتها).

وقال ابن عباس: كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة، وأن جبريل لما أمر بأهل السماوات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر، قد قامت الساعة. قوله تعالى { سبحانه وتعالى عما يشركون} أي تنزيها له عما يصفونه به من أنه لا يقدر على قيام الساعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدر أحد على بعث الأموات، فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق، وذلك شرك. وقيل { عما يشركون} أي عن إشراكهم. وقيل { ما} بمعنى الذي أي ارتفع عن الذين أشركوا به.

انشغل الخلق بقصص الدجال والمهدي عليه السلام وعودة عيسى عليه الصلاة والسلام, وغفلوا عن أحاديث الفتن وما تحمله من علامات وكأني بهم يستعجلون العلامات الكبرى ويعلم الله من يدركها من الخلق؟

انقطاع الوحي من السماء.

ألا له الخلق والأمر, سبحانه وتعالى حكيم عليم يضع الموازين بالقسط, وجاء الخبر ووصلت الأوامر للحبيب جبريل عليه السلام أن رحلاته المباركة إلى كوكب الأرض قد تم إيقافها, والمهمة المباركة لرسول المحبة والعدل والسلام رسول رب السماوات والأرض إلى خلقه من ساكني الأرض قد انتهت وهي أخر الرحلات, فقد أعلن في السماوات والأرض عن وفاة أخر الرسل للإنس والجن رسول رب العالمين الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام, وبهذا انقطع الوحي من السماء وانقطع التواصل بين السماء والأرض بالوحي, وبهذا أعلنت قرارات كثيرة وبيانات واضحة أن بعد هذا التاريخ لا أنبياء ولا رسل ولا رسالات, وهذا يعني انه بوفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام أصبح العرق البشري مكلف بحمل الرسالة والأمانة ولم يعد للخلق حجة على الله بعد الرسل في التعرف على مصدرهم وربهم الذي خلقهم, والتعرف معها على سبب خلقهم ووجودهم!!!

علم من علم أو من لم يعلم بعد فالكلمة لها ربها والأوامر لها آمرُها ولا للمخلوق أن يقعد للسؤال أكثر من ذلك فما للمخلوق حجة بعد ذلك, نعم اكتمل الدين وتمت النعمة جلية واضحة بكل كرم فالمرسل كريم حكيم والرسول كريم, فأي رسائل يمكن أن تُقرأ في هذا الإعلان **(انقطع الوحي من السماء)** ومحمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام والقرآن الكريم الحكيم آخر الكتب المرسلة المنزلة وحيا على أنبياء الله عليهم صلواته وسلامه, أي

رسائل يمكن أن تُقرأ بعين القلب والحكمة في هذه القرارات الحكيمة؟

وقال الله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً} [المائدة:3].** قال ابن العربي: "وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله" [العواصم من القواصم (ص59)]

لقد كان الوحي بركة من بركات الرحمن التي تحل على أهل الأرض كلما حل رسول رب السماء ضيفا على الأرض, إنها قمة الشرف والتقدير أن يُرسل الله سبحانه وتعالى رسوله بشيرا ونذيرا وشاهدا ومبشرا بالخير لأهل طاعته ونذيرا لمن عصاه من خلقه فهو الخالق وللخالق ما خلق,
فلنقرأ تلك الرسائل بعين الحكمة والبصيرة ولنوقف هذه الجدالات المضّيعة للعمر ولطاعة الله سبحانه وتعالى, فماذا ينفع من قال إن الإنسان مسير أو من قال انه مخير إن لم يكن جدالنا المقصود به أن نحسن طاعة ربنا؟ وغدا نعلم قيمة هذا الوقت الذي أضعناه بعيدا عن عبادة الله التي هي سبب الخلق, وعن الجدال فيما تتوه فيه عقولنا ويتوقف عنده إدراكنا وانه ليس جزءا من عبادة الله تعالى, إن التفكر في خلق السماوات والأرض والآيات العظام لا يعني الجدل والانقسام, فغدا نكون هناك بين الواقفين صمتا ورعبا إن لم نرى كتُبنا بأيماننا تبشر بالفوز بالمهمة ونهاية الحزن والألم والبرد والسقم, غدا نكون هناك مع الجموع التائه التي تبحث عن شفيع لها يوم لا شفيع إلا من بعد إذنه تعالى وأذن له الرحمن!!

غدا نكون هناك مع الباكين حسرة وندامة على العمر الذي أضعناه وما أدركنا الفرق بين الأحياء والأموات, فماذا ينفع الميت إن مضى إلى قدره وهو يعلم انه ماض إليه؟ إن لم يعرف معنى الحياة, وان باب الخير يغلق بالموت إلا من رحم ربي وذكرهم نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام في قوله إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث!!

ولا يستمر عمل من قطع حبل الوصل مع ربه وخالقه وإنما يوصل الحبل مع من كان حبله مع الله موصول وهو حي فلا يركن ولا يمضي دون أن يعد العدة!!

نعود للوحي الذي انقطع وانقطعت أسباب كثيرة مع توقف تلك الزيارات الكريمة فلم يعد بيننا نبي كريم ولا رسول حكيم!!

إن أم أيمن رضي الله عنها بكت حين مات النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل لها تبكين فقالت: **(إني - والله - قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت، ولكن إنما أبكي على الوحي الذي انقطع عنا من السماء). [أحمد (12179)]**

- وعن أبي بردة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) [مسلم (2531)].**

قال النووي: **"(وأنا أمنة لأصحابي, فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون)** أي: من الفتن والحروب, وارتداد من ارتدّ من الأعراب, واختلاف القلوب, ونحو ذلك ممّا أنذر به صريحًا, وقد وقع كلّ ذلك".[شرح النووي (316/8)]

قال أبو العتاهية:
اصبر لكل مصيبة وتجلَّد واعلم بأن المرء غير مخلَّد
واصبر كما صبر الكرام فإنها نُوبٌ تنوب اليوم تكشف في غد
أوما ترى أن المصائب جمة وترى المنية للعباد بمرصد
فإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد.

نبكي كما بكت وقالت إنما ابكي لانقطاع الوحي من السماء!! تلك رسالة كبيرة منذرة بان أبواب كثيرة أغلقت وأوقات أعلنت ووعود أشرفت, ها قد انشق القمر واشتدت سقر والقرآن للوقت الموعود ينتظر وأي خبر بقى بعد هذا الخبر, يقول ابن عباس في هذه الآية قوله تعالى: **(ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا) (86 الإسراء).**

رفع القرآن الكريم.

كما جاء في تفسير القرطبي:
قوله تعالى: **(وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) سورة الإسراء.)**
قوله تعالى: ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن. أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه حتى ينساه الخلق. ويتصل هذا بقوله: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي ولو شئت أن أذهب بذلك القليل لقدرت عليه. ثم لا تجد لك به علينا وكيلا أي ناصرا يرده عليك.
وقيل من ربك يعني لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك ; فهو استثناء ليس من الأول. وقيل : إلا أن يرحمك ربك فلا يذهب به
.
إن فضله كان عليك كبيرا إذ جعلك سيد ولد آدم. وأعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز.
قال عبد الله بن مسعود: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، وأن هذا القرآن كأنه قد نزع منكم، تصبحون يوما وما معكم منه شيء. فقال رجل: كيف يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن وقد ثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا، نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ! قال: يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وما في القلوب، فتصبح الناس كالبهائم. ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك الآية. قال: أبو بكر بن أبي شيبة بمعناه قال: أخبرنا أبو الأحوص عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال:

قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: إن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن ينزع منكم. قال : قلت كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا وثبتناه في مصاحفنا ! قال: يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في [ص: 293] القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء. ثم قرأ لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وهذا إسناد صحيح. فيقول: عمر: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي كدوي النحل، فيقول الله ما بالك. فيقول : يا رب منك خرجت وإليك أعود ، أتلى فلا يعمل بي ، أتلى ولا يعمل بي . .

قلت: قد جاء معنى هذا مرفوعا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة. **قال حذيفة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة فيسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله. وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة. قال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله ! وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ; فأعرض عنه حذيفة ; ثم رددها ثلاثا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة ! تنجيهم من النار، ثلاثا.** خرجه ابن ماجه في السنن. **وقال عبد الله بن عمر: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو معصوب الرأس من وجع فضحك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما هذه الكتب التي تكتبون أكتاب غير كتاب الله يوشك أن يغضب الله لكتابه**

فلا يدع ورقا ولا قلبا إلا أخذ منه قالوا: يا رسول الله، فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ ؟ قال: من أراد الله به خيرا أبقى في قلبه لا إله إلا الله ذكره الثعلبي والغزنوي وغيرهما في التفسير. فماذا بقي؟

غربة المسلمين.

جاء في باب الآداب والرقائق في حقيقة الغربة (كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين), لأبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية):
فصل الغربة
قال شيخ الإسلام: باب الغربة قال الله تعالى: فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ (116) هود.
استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: **بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس.**

قال: الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زهير بن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب، عن المطلب بن حنطب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **طوبى للغرباء، قالوا: [ص: 185] يا رسول الله، ومن الغرباء ؟ قال: الذين يزيدون إذا نقص الناس.**

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظا لم ينقلب على الراوي لفظه وهو: الذين ينقصون إذا زاد الناس فمعناه: الذين يزيدون خيرا وإيمانا وتقى إذا نقص الناس من ذلك، والله أعلم.

وفي حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: النزاع من القبائل.**

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: **قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده طوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.**

وقال أحمد: حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا محمد بن مسلم، حدثنا عثمان بن عبد الله، عن سليمان بن هرمز، عن عبد الله بن عمرو، **عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: إن أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء ؟ قال: الفرارون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة.**

وفي حديث آخر: **بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس.**

وقال نافع، عن مالك: دخل عمر بن الخطاب المسجد، فوجد معاذ بن جبل جالسا إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فقال له عمر: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال: لا، ولكن حديثا حدثنيه حبيبي صلى الله عليه وسلم وأنا في هذا المسجد، فقال: ما هو ؟ قال: **إن الله يحب الأخفياء الأحفياء**

الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم [ص: 186] يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة.

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدا؛ سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء.

وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله عز وجل فيهم: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:
فليس غريبا من تناءت دياره ولكن من تنأين عنه غريب
ولما خرج موسى عليه السلام هاربا من قوم فرعون انتهى إلى مدين على الحال التي ذكر الله، وهو وحيد غريب خائف جائع، فقال: يا رب وحيد مريض غريب، فقيل له: يا موسى الوحيد: من ليس له مثلي أنيس، والمريض: من ليس له مثلي طبيب، والغريب: من ليس بيني وبينه معاملة.
ماذا بعد وماذا بقي للأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي من السماء وكيف لنا أن نبقى نسبح في كنف ربنا ومولانا قبل أن ينزع القرآن من صدورنا ويرفع, ربما هناك

علامات كثيرة تشير وتدل على رحمة الله بنا ومنها وجود القرآن بيننا فهذه دلالة من دلالات الرحمة وإننا ما زلنا نعيش بعين الرحمة الإلهية.
لقد كان رسول الله رحمة للعالمين وكان سببا لمنع العذاب وذاك قول العليم الحكيم: {**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** } **الأنفال33.**
وقول الله تعالى في سورة الحشر في المتقين الذين ينظرون لما قدموا لغدهم ولم ينسوا ربهم وخالقهم: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(21).**
نعم إن الذكر والاستغفار من أسباب رحمة الله للعباد ووجود الصالحين بينهم: (حديث مرفوع) وَأَخْبَرَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، ثنا سَعْدُ بْنُ زُنْبُورٍ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَالِدٍ، عَنْ بَيَانٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ, صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يَقُولُ: " **يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ, حَتَّى يَبْقَى مِثْلُ حُثَالَةِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ لا يُبَالِي اللَّهُ, عَزَّ وَجَلَّ, عَنْهَا** ".
كم أحوجنا للصالحين بيننا فهم علامة من علامة رحمة ربنا بنا فان ذهبوا لم يبالي الله بنا ولا بأحوالنا فنكون حثالة الخلق نعيش كالأنعام ليس لنا هم غير نفوسنا وبطوننا لا نحل حلالا ولا نحرم حراما!

وان من أسباب رحمة الله لنا التمسك بسنة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام فقد ورد في الحديث المرفوع حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أنبا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي بُحَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ".** كما قال فيها كما ورد في الحديث الصحيح عنه ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه الحديث, رواه الحاكم وقال:

صحيح الإسناد احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وله أصل في الصحيح. (صحيح الترغيب و الترهيب للألباني).

من أسباب رحمة الله تعالى للعباد المحافظة على الأمانة فان ضيعت الأمانة فانتظر الساعة: كما أورد النووي - في رياض الصالحين - 676هـ عن أبو هريرة رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً ؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة ؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: أبيت ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب الذنب، فيه يركب الخلق، ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل متفقٌ عليه. وعنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسٍ يحدث القوم، جاءه أعرابيٌ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال،**

وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة ؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها ؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة رواه البخاري.

وللرحم نصيب من الرحمة للعباد يرحمهم الله بها ان وُجد الراحمون ووصلت الأرحام والأحاديث فيها كثيرة ونورد بعضها ما جاء في كتاب أحاديث الأحكام لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة

" كتاب الأدب" ما قالوا في البر وصلة الرحم:

(1) حدثنا ابن عيينة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن عاد أبا الرداد فقال: خيرهم وأوصلهم أبو محمد يعني ابن عون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **قال الله: أنا الله وأنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته.**

(2) حدثنا وكيع عن معاوية بن أبي مزرد عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله.**

(3) حدثنا أبو أسامة عن عوف عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس نحوه فأتيته، فلما نظرت إليه عرفت أن وجهه ليس وجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: **يا أيها الناس، أفشوا**

السـلام، وصـلوا الأرحـام، وأطعمـوا الطعـام، وصـلوا بالليـل والناس نيام.

(فهـل عسـيتم إن تـوليتم أن تفسـدوا فـي الأرض وتقطعـوا أرحـامكم (22) أولئـك الـذين لعـنهم الله فأصـمهم وأعمـى أبصارهم (23)) سورة محمد.

الملحمة الكبرى!

كانت العلاقات بين البشر قبل معرفة الله تعالى وقبل انتشار دينه الحنيف وتعاليمه السمحاء وذلك من خلال رسله وأنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام, ومن خلال كتبه الكريمة الحكيمة التي جاءت بالتعاليم والضوابط التي تضبط حيات البشر وعلاقاتهم ببعض وشرع لهم من الدين ما فيه صلاحهم ونجاحهم, قبل ذلك كانت حياتهم غابة للأقوياء يأكل فيها القوي الضعيف وكانت الغلبة للكثرة على القلة من الرهط, فكانت القبائل والشعوب تعتمد على العرق واللون والكثرة ليواجهوا أعدائهم وصد الغزوات التي تهب عليهم من القبائل الأخرى, وهم جميعا على ذلك فمن جاع غزى الأخر وسلبه ما جمعه وصنعه بنفسه وادخره.

وجاء الدين ليحفظ الحقوق ويعّرف الناس أين تصل حدود كل واحد منهم مع الأخر, فلا يجور احد على احد ولا يسلبه شيء من متاعه بدون وجه حق فالناس شركاء في الماء والكلأ, **(وكما جاء في كتاب نيل الأوطار, كتاب إحياء الموات, باب الناس شركاء في ثلاث وشرب الأرض العليا قبل السفلى إذا قل الماء أو اختلفوا فيه[ص: 36] عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ لا يمنع الماء والنار والكلأ }رواه ابن ماجه)**

تلك كانت هي دورة الحياة والرحلة الشاقة المليئة بالمآسي فمن جاهلية الإنسان الأول إلى الجاهلية ما قبل الإسلام وانتهاء بالجاهلية ما بعد خروج الإسلام.

ها هي الحياة تعود إلى سيرتها الأولى وكأن الناس بهم عشق للجاهلية ويبحثون عن النهاية كما كانت يوما قبل انبعاث ادم عليه السلام!

ولنا وقفة مع قول الله تعالى: **(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (56) سورة الأعراف).**

وجاء في تعليل سؤال الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟)

وهذا كان سؤال الملائكة بعد أن سمعوا قول الله تعالى: **(وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: 30].**

وقد ذكر المفسرون أوجها في بيان قوله تعالى**: (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: 30].**

الوجه الأول: أن الملائكة قالت ذلك بعد إعلام الله تعالى لهم بطبيعة ذرية آدم عليه السلام، وأنهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، وهذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم كما نقل ذلك القرطبي وابن كثير، فعن ابن عباس وابن مسعود أن الله تعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً.

وقال قتادة: كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فلذلك قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها.

الوجه الثاني: أنهم لما سمعوا لفظ: خلفية، فهموا أن في بني آدم من يفسد إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد،

والفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم.
الوجه الثالث: ما نقله القرطبي رحمه الله وغيره أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء.
فبعث الله إليهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها. وهذا مروي عن ابن عباس وأبي العالية.
وما جئنا بهذا إلا لدراسة أحوال الأرض ما قبل ادم عليه السلام, واليوم نعيد التاريخ بهذه الحروب الشرسة وسفك الدماء الذي خضبت خارطة الكرة الأرضية ومعارك الحقد والكراهية والمكر والتي تطبخ في مطابخ السياسة والاقتصاد لغايات السيطرة على الموارد والظفر بخيرات البلاد التي صنفوها عدّوة فكان الاستعمار خير دليل على عودة الإنسان الأول إلى حديث عهده بالحياة باختلاف الوسائل ولكن الهدف واحد وهو نهب وسلب حق الأخر في الحياة!
والسؤال هنا هل نحن على أبواب الملحمة الكبرى بعد أن عرفنا بالصوت والصورة ما دوّنه التاريخ حول الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية؟
هل نحن على أبواب الحرب العالمية الثالثة وهل ما نسمعه من دق للطبول هي مؤشرات على اقتراب الحرب ففي كل ركن نرى استعداد الدول للملحمة الكبرى؟

من الواضح أن وصول العلامات الصغرى للساعة إلى موعدها دليل على قرب وقوع الملحمة الكبرى دون تحديد والانتظار لما

تبقى من اشراطها الكبرى, فهل من مهتم أو متتبع لها؟ نقول ربما القليل ولكن نتذكر قول الله تعالى:

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (3) سورة الأنبياء.

الغفلة عنوان لزماننا والقلوب لاهية والبعض يدق طبول الحرب وآخرون يرقصون عليها والتحضيرات على أوجها وكأنه لا محيص من وقوعها!

يحضرني حديث الفتن لحذيفة ابن اليمان يسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها:

عن حُذيفة بن اليمان قال: كان النَّاس يسألون رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشَّرِّ مَخافةَ أن يُدْرِكني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهليَّة وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخيْر، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم) قلتُ: وهل بعد ذلك الشَّرّ من خير؟ قال: (نعَم، وفيه دخن)، قلتُ: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: (نعم، دعاةٌ إلى أبْواب جهنَّم، مَن أجابَهم إليْها قذفوه فيها) قُلت: يا رسول الله، صفهم لنا، فقال: (هُم من جلْدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا) قُلت: فما تأمُرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جَماعة المسلمين وإمامَهم) قُلتُ: فإنْ لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزِل تلك الفِرَق كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتَّى يدركك الموت وأنت على ذلك)؛ البخاري.

وفي رواية مسلم: (قوم يستنُّون بغير سنَّتي ويهدون بغير هدْيي، تعرفُ منهم وتنكر).

وفي رواية ثانية لمسلم: (يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهداي ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قُلُوبُهمُ قُلُوبُ الشَّياطين في جثمان إنس) قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: (تسمعُ وتُطيعُ للأمير وإن ضرب ظهرَك وأخذ مالَك، فاسْمع وأطِعْ).

ورواية أبي داود عن سبيع بن خالد قال: أَتيت الكوفة في زمن فتحت تُستر أجْلب منها بغالاً، فدخلت المسجد، فإذا صَدْعٌ من الرِّجال، وإذا رجُل جالس تعرف إذا رأيتَه أنَّه من رجال أهل الحجاز، قال: قلتُ: مَن هذا؟ فتجهَّمني القوم وقالوا: أما تعرف هذا؟! هذا حذيفة بن اليمانِ صاحب رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال حُذيفة: إنَّ النَّاس كانوا يسألون رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن الخير: وكنت أسألُه عن الشَّرّ، فأحدقه القوم بأبصارهم، فقال: إني أرى الذي تُنكرون، إنّي قُلتُ: يا رسول الله، أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله؟ أيكون بعده شرّ كما كان قبله؟ قال: (نعم) قلتُ: فما العصمة من ذلك؟ قال: (السَّيف) قلتُ: يا رسول الله، ثمَّ ماذا يكون؟ قال: (إن كان لله خليفةٌ في الأرض فضرَب ظهرَك وأخذ مالَك، فأطِعْه وإلاَّ فمُت عاضًّا بجذع شجرة)، قلت: ثمَّ ماذا؟ قال: (ثمَّ يَخرج الدجَّال، معه نهر ونار، فمَن وقع في نارٍه وجب أجره وحُطَّ وزره، ومَن وقع في نهْره وجب وزره وحطَّ أجره) قلت: ثم ماذا؟ قال: (ثمَّ قيام السَّاعة).

وعند ابن ماجه: (يكون دعاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلتُ: يا رسول الله، صفْهُم لنا، قال: (هم من جلدتنا يتكلَّمون بألسنتنا) قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (فالزَمْ جماعة المسلمين وإمامَهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصْل شجرة حتَّى يدرِكَك الموت وأنت كذلك).

وقول النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(اعتزِل تلك الفِرَق كلَّها)** معناه: أن يلتزِم الإنسان السنَّة ولو كان وحْده، ويعتزل كلَّ المقالات والآراء الفاسدة ومَن يروِّجون لها، ولو فعل ذلك فهو الجماعة هو ومَن وافقه على ذلك؛ لقول النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: **(لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرُّهم مَن خالفهم حتَّى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك).**

فالحديث يوضِّح للمسلم المنهجَ الَّذي يعتصم به حالَ الاختِلاف، وقوله: كنَّا في جاهليَّة وشرّ، يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكُفْر، وقتْل بعضِهم بعضًا ونَهْب بعضِهم بعضًا وإتيان الفواحش، والمراد بالشَّرّ المذْكور أوَّلاً ما يقع من الفِتَن بعد مقتل عثمان، أو ما يترتَّب على ذلك من عقوبات الآخِرة.
وقوله عن الخير: (وفيه دخن): إشارة إلى أنَّه لا يكون خيرًا محضًا خالصًا؛ بل فيه كدر، وفي رواية: (لا ترْجِع قلوب قومٍ على ما كانتْ عليه)، فكأنَّ المعنى: أنَّ قلوبَهم لا يصفو بعضُها لبعض.
وقد فسّر هذا الدَّخن بوجود البدَع وظهورها قوله: (قوم يهْدون بغير هديِي، تعرف منهم وتنكر)، وقوله في الشَّرّ الآخر: (دعاة

يدْعون على أبواب جهنَّم)، باعتبار ما يؤول إليه حالُهم وحال مَن تابعهم في دعوتِهم الفاسدة التي تهدم دين الإسلام.

وقوله: (هم من جلْدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا) إشارة إلى أنَّهم من العرب، أو ممَّن يُظهرون الإسلام، ووصفهم بأنَّ قلوبَهم قلوب الشَّياطين في جثمان إنس.
قال عياض: المراد بالشَّرّ الأوَّل الفِتَن الَّتي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الَّذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقال غيره: بل هو الاجتِماع على معاوية وترْك القتال في الفتنة.
وفي الحديث الأمرُ باعتزال الفِتن، وهجران البدَع وأهلها مع الإنكار لها، وردّ الباطل الَّذي يدعون إليه.
وفيه أنَّ الجماعة قد تكون رجُلاً واحدًا يعتصم بالسنَّة ويردّ البدعة، كما كان من أمر أحمد بن حنبل في فتنة خلْق القرآن".

ومن الفتن وعلاماتها التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر القاتل والمقتول حديث يوضح أننا في ذلك الوقت أو نحن على أبوابه لما نرى من علامات تبين أنه للروح البشرية لم يعد أي قيمة وقتلها أصبح من أسهل الأمور؟
(حديث مرفوع) أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ, عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ, وَلا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ ".

وحديث أخر عن زمن وقوع الفتن وضيق حال الناس والذي يتمنى فيه الحي من شدة الفتن أن لو يكون مكان صاحب القبر:
عَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّيْنُ إِلاَ الْبَلاَءُ}.متفق عليه، وفي رواية { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ }
(يَبكِي رِجَالٌ عَلَى الحَيَاةِ وَقَدْ... اشْتَقْتُ يَا قَوْمِي إِلَى قُرْبِ الأَجَلْ
مِن قَبلِ أَنْ تَعْرُضْ لِقَلْبِي فِتْنَةٌ... فَتَصْرِفُهُ عَنْ طَاعَةِ المَوْلَى الأَجَلْ)
وسَبَبُ هَذَا التَّمَنِّي مَا يُرَى مِنْ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْفِتَنِ فَيَرَى الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ أَهْوَنَ مِمَّا هُوَ فِيهِ فَيَتَمَنَّى الْمُصِيبَةَ الْهَيِّنَةَ فِي اعْتِقَادِهِ، أو أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ مَا يَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الشَّرِيعَةِ وَتَبْدِيلِ الدِّينِ فَيَتَمَنَّى الْمَوْتَ لِسَلَامَةِ دِينِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ الِاحْتِمَالَيْنِ الْقَاضِي عِيَاضٌ، وَقَدْ جَزَمَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِهَذَا الِاحْتِمَالِ.
قال ابن بطال: تغبط أهل القبور وتمنى الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر.
قال الحافظ العراقي: تَمَنِّي الْمَوْتِ لِمَصْلَحَةِ الدِّينِ فَلَا نِزَاعَ فِيهِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَبِي عَبْسٍ الْغِفَارِيِّ صَحَابِيٌّ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ لَا كَرَاهَةَ فِيهِ، وَقَدْ فَعَلَهُ خَلَائِقُ مِنْ السَّلَفِ عِنْدَ خَوْفِ الْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ.

وفي نفس السياق وظهور الفتن حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "يأتي على الناس زمان؛ يأتي الرجل القبر، فيضطجع عليه، فيقول: يا ليتني مكان صاحبه ! ما به حب لقاء الله، ولكن لما يرى من شدة البلاء".

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: "ليأتين عليكم زمان يتمنى الرجل فيه الموت من غير فقر".

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنه قال: "يأتي على الناس زمان يتمنى الرجل ذو الشرف والمال والولد الموت؛ مما يرى من البلاء من ولاتهم".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال: "ليأتين على الناس زمان الموت فيه أحب إلى أحدهم من الغسل بالماء البارد في اليوم القائظ، ثم لا يموت".

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: "عدت أبا هريرة، فسندته إلى صدري، ثم قلت: اللهم اشف أبا هريرة !

فقال: اللهم لا ترجعها.

ثم قال: إن استطعت يا أبا سلمة أن تموت؛ فمت.

فقلت: يا أبا هريرة ! إنا لنحب الحياة.

فقال: والذي نفس أبي هريرة بيده؛ ليأتين على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ليأتين أحدكم قبر أخيه، فيقول: ليتني مكانه".

(ألا موت يباع فأشتريه... فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ... وددتُ لو أنني مما يليه

اللهم أحينا ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيرًا لنا، وإذا أردت فتنة قوم فاقبضنا إليك غير مفتونين، ولا مبدلين، ولا مغيرين، يا رب العالمين.
ليس لنا إلا رحمة الله فالعلامات راحت تطل علينا واحدة تلو الأخرى وقد تسللت إلى دنيانا ولم نقف عند واحدة منها فالكل مشغول بدنياه يجمعها منكب عليها بكل أمل بها ولا وقفة واحدة يحلل فيها الإنسان ما وصلنا إليه وكأن الأمر لا يعنيننا مادام بعيدا عن بيوتنا!

الملحمة الكبرى يُجمع لها الجيوش ويُنقل لها السلاح وكل حزب مفتون بقوته وعدته وجيشه والكل أيضا يقول انه على الحق فلا مكان للسلم ولا للتنازل ولا للمفاوضات, إنها الفتنة الملعونة وقد أيقضها أهل الشر وأرادوا الهيمنة وإحياء تاريخ الفتن ولكنهم لا يعلمون إن الله قد استدرجهم من حيث لا يعلمون وستكون ملحمة كبرى الرابح فيها خسران.

لقد فشل البشر في التعايش ما بينهم أو احترام الاختلاف الذي بينهم فوقعوا جميعا في مطب إثبات بطلان عقيدة الأخر ومحاربته حتى يتنازل عن معتقده أو الموت, وهنا تكمن العقدة وعدم فهم الرسالة السماوية بعدما بلغت منتهاها ووصلت بكامل فحواها فكان قول الله تعالى:
قول الله تعالى: **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة/ 256،**
ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)**

يونس/ 99، أي: لا تقدر على ذلك، وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك " انتهى من " تفسير السعدي" (ص 374).
قال ابن جزي رحمه الله:
" (لا إكراه في الدين) المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته، بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه ويدل على ذلك قوله: (قد تبين الرشد من الغي) أي قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه " انتهى من "التسهيل" (ص 135).
وقال أيضا:
" (**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**) يعني: وإذا تبين هذا من هذا لم يبق للإكراه محل، لأن الإكراه إنما يكون على أمر فيه مصلحة خفية، فأما أمر قد اتضح أن مصالح وسعادة الدارين مربوطة ومتعلقة به، فأي داع للإكراه فيه ؟.
ونظير هذا قوله تعالى: **(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) الكهف/ من الآية29**، أيْ هذا الحق الذي قامت البراهين الواضحة على حقِّيَّته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " انتهى من "القواعد الحسان" (ص 119).
وقال ابن قدامة رحمه الله:
" وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن، فأسلم: لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعا " انتهى من "المغني" (10 /96).

إذا كانت هذه الآيات الكريمة من كتاب الله الكريم الحجة البالغة والبرهان لتحديد المفاهيم في اصل الدعوة الى الله وإنها ليس بالإكراه والخطاب موجّه لغير المسلمين فما بالك إن كان الذي يختلف معك هو مسلم ولكن الاختلاف ما بينهم هو في المذهب فهل يكره الإنسان على ترك مذهب ما ليرضي أصحاب المذهب الأخر؟ والأخطر من ذلك فيمن يرى أن مذهبك هو على باطل وإن عليك أن تتبع مذهبه وألا فأنت في نظره كافر ووجب قتالك!

لقد فقد الانسان صوابه فكم رصد من الأموال للاستثمار في الشر على حساب الخير وافتعال الحروب لكي تجرب الأسلحة الجديدة الفتاكة وحتى تفرض القوى العظمى وحتى الصغيرة منها الهيمنة على الشعوب, وكم من الحروب تم افتعالها وكان الخاسر الأكبر هو الإنسان!

التفاضل بين البشر.

وهنا وجب علينا أن نقف على ما ورد في العنصرية المقيتة التي غدت عقيدة لأهل الغرور الذين اغتروا بعروقهم وصنفوا أنفسهم بناءا على تلك العروق, تلك دعوة عنصرية جاهلية أطلقها بعض أصحاب الطبقات الغنية واللوردات بان صنفوا الناس إلى صنفين:
الآريين والساميين, واعتبروا أن العرق السامي لا يستحق الحياة وان أرواحهم أروح الحيوانات, والساميين حسب ما صنفه الآريين هم العرب واليهود!
إذا الحرب لها جذور والأمر لم يكن مجرد عداء وتنافس على الموارد بل مخزون في عقول الناس ونفوسهم ولهذه الحروب ميراث قذر تبني عليه علاقاتها ونزاعاتها وما زال هذا الميراث حيّ عند كثير من الاعراق والطوائف والذي هو التفاضل الذي أسسوا قواعده كما ذكرها الدكتور: (إبراهيم أحمد الديبو), في كتابه (التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة "دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة"
تكلم عن التفاضل في عهد الفراعنة وكل ما ذكره لم يستوقفني مثل ما كان التفاضل عند اليونانيين فذكر.

ثالثاً: عند اليونانيين:
شاعت بين اليونانيين أسطورة تتعلق بأصل الخلق وهو أن بعض الناس ولدوا من ذهب وبعضهم ولدوا من فضة وبعضهم ولدوا من نحاس، وهي أكذوبة أو أسطورة كان يرى أفلاطون أن من المصلحة أن يفرضها الحكام على الناس ليضمنوا خضوعهم،

وقد ظهرت آثارها في فلسفته الأخلاقية وعدتْ من أعظم المآخذ على فلسفته؛ ذلك أنه كان يعلي من شأن الجنس الإغريقي أو اليوناني على بقية الأجناس والشعوب وكان يقول: " إن الشعوب اليونانية تجمعها رابطة القرابة ووحدة الأصل، وتختلف عن البرابرة في الجنس والدم" ويترتب على ذلك أنه يرى أن نظام الرق ظاهرة طبيعية لا بد منها، وأن القوانين التي تسري على اليونانيين لا تسري على غيرهم، فكان ينصح اليونانيين أن يقيموا بين دولهم علاقات ودية فإن وقعت الحرب بينهم فلا يسحق الغالب عدوه المغلوب ولا يدمر أو يحرق أو يستعبد، أما إذا كانت الحرب بين اليوناني وغيره فله أن يسحق ويحرق ويدمر ويسترق، وهي أبشع ألوان العنصرية البغيضة التي سرت إلى تلميذه أرسطو من بعده، فوافقه على أن الرق نظام طبيعي وقال بأن من الناس من هم عبيد طبعا، وزعم أن اليونانيين هم الشعب المتحضر والمتفوق على الشعوب جميعها وأن ما عداهم برابرة وهمجيون، وأن اليوناني سيد حر والبربري أو الأجنبي عبد له، وهي نظرة عنصرية بغيضة تنافي المبادئ الخلقية الأولية.

بعدها انتقل إلى أثر الفلاسفة القدماء في فلاسفة الغرب.

رابعاً: أثر الفلاسفة القدماء في فلاسفة الغرب:

كان الأحرى بفلاسفة الأخلاق جميعاً أن يتناولوا تلك الأفكار بالنقد والكشف عن عيوبها وآثارها، وقد فعل ذلك المنصفون منهم؛ إلا أنها كنظرية بقيت تستقطب بعض المفكرين والفلاسفة، وقد نظَّر إليها فلاسفة فرنسيون وألمان في القرن التاسع عشر وطبقها أدولف هتلر في ألمانيا في القرن العشرين، وهي دعوى

خطيرة تقلل من إنسانية الإنسان وتهدر كرامته، وقد تفرع عنها التشكيك في قدرة العقل على الإبداع والتفلسف - والمراد طبعاً هو العقل غير اليوناني- لذلك ظهرت في الغرب نظرة دونية إلى كل ما هو سامي، فالعقل السامي عامة والعربي والإسلامي خاصة لا يمتلك قدرة على الإبداع والتفلسف.

وقد كان "الكونت جوبينو" هو أول من أثار هذه المشكلة وميز الجنس الآري على الجنس السامي بصفة عامة، وجاء مستشرق آخر وهو كارل "هينرش بيكر" وقارن بين الفن عند الآريين وبين الساميين فخلص إلى أن الفنون عند الساميين لا تجمعها وحدة تركيبية، أما الفنون عند الآريين فتتميز بالتركيب القائم على وحدة الموضوع.

كما ظهرت بوادر التعصب الجنسي عند الفيلسوف الفرنسي "تنمان" "tennemann" المتوفى سنة 1819م، ثم ما لبثت أن ألبست هذه الدعوى لباساً علمياً عند رنان "ernest renan" الفيلسوف الفرنسي المتوفى 1892م، الذي كان يفخر بأنه أول من كشف عن تلك الفوارق بين الأجناس البشرية، فقال: أنا أول من عرف أن الجنس السامي إذا قوبل بالجنس الهندي الأوربي يعد حقاً تركيباً أدنى للطبيعة الإنسانية، فالروح السامية تمتاز بالوحدة والبساطة، أم الروح الآرية فإنها تمتاز بالكثرة والتعقيد، وقال: إن الساميين يعتنقون التوحيد المطلق الذي يتمشى مع فطرتهم الساذجة، وقد أثر هذا في نظمهم السياسية والاجتماعية والدينية. وشارك رنان في حملته العنصرية الألماني"كرستيان لاسن" "Christian lassen" المتوفى 1876م.

ثم شاع في الغرب هذا الاتجاه وظهرت كتابات تعلي من شأن العرق الآري، فتنسب له الأمجاد والتفوق وتقدمه على غيره،

فالرجل الآري ذكي ومبدع ومتفلسف يفكر بعقلانية ويكتشف دقائق الأمور ويهتم بنتائجها، والرجل السامي هو أقرب ما يكون إلى السذاجة والبساطة في تفكيره، ويهتم بالجوانب الروحية وينسى الجانب العقلي، ولا يمتلك القدرة على الإبداع والتفلسف، ويقف عند ظواهر الأمور، وكل ذلك – بزعمهم- يرجع إلى تفضيل جنس على آخر وعرق على غيره، وكأن الكفاءات والإبداعات لا تكون إلا في أشخاص لهم دماء نقية وهم الآريون، وقد أدى ذلك إلى امتهان الشخص السامي والتقليل من شأنه وبعث روح اليأس فيه، فمهما اجتهد وفكر لن يصل إلى درجة الرجل الآري.

وتقسيم الناس إلى ساميين وآريين كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق هو من صنع علماء تاريخ اللغات في القرن التاسع عشر وقد أقحمت هذه التقسيمات في مجال الفلسفة والإبداع.

ولكن من هو الإنسان السامي ومن أين جاءته تلك النسبة؟ فالسامي هي نسبة إلى سام، وهو ولد نوح عليه السلام، وقد ولد له أبناء ثلاثة كما جاء في سفر التكوين: "وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث".

فسام أبو الإسرائيليين وإخوانهم وحام أبو الزنوج ويافث أبو بقية البشر.

أما الآري فمنسوب إلى آريا، وآريا اسم شعب كان مهده النجد الفارسي من بلاد الأفغان وما إليها، ثم انحدر إلى الشمال الغربي من الهند ومعه دين جديد من أديان الشرك هو دين الفيديين، وله كتاب مقدس يسمى" الفيدا" وهو اليوم دين البراهمة والهندوسيين، وكان لهذا الكتاب أثر في حياة الآسيويين ووصل صداه إلى أوربا، وعندما استقر الاستعمار الأوربي في أوربا

وراءهم ما لاحظوه من التشابه بين لغتهم ولغة الفيدا وهي السنسكريتية قامت دراسات مقارنة لعقد التشابه بينهما، فصنفوا اللغات أصنافا كالأنساب، ونبتت في القرن التاسع عشر نظرية شعب آري هو أصل الأمم الأوربية وبعض الدول الآسيوية، والأساس الذي قامت عليه هذه النظرية هو اللغة السنسكريتية المشتركة بينهم، ثم سعوا إلى ترسيخ النظرة العنصرية على الجنس السامي، فصرح رينان بأن الجنس السامي دون الجنس الآري، وتأثر برأيه بعض معاصريه ووثقوا بكلامه كما تقدم ثم تضاءل دور هذه النظرية لضعف محتواها وضعف سندها العلمي، وتبين أنها نظرية لغوية أقحمت في مجال الجنس البشري، ثم أقحمت في مجال الدراسات الفلسفية بنزعة عنصرية تعلي من شأن العنصر الأوربي وتقلل من شأن العرب والمسلمين وغيرهم من الشعوب السامية في مجال الفلسفة والإبداع، ولكن ضعف محتواها وسندها لم يكن كافياً لاندثارها، فهناك نفوس تحب التعالي وتسعى إليه وتلتمس من الأدلة أضعفها ومن شواهد التاريخ أقلها، وتريد أن تبني مجداً علمياً وتفوقاً جنسياً فكانت ترى بغيتها في هذه النظرية وتجد فيها حصنا تلتف حوله وتحاول تبرير عنصريتها من خلالها.
ثم عرج الكاتب موثقا هذه الدراسة بالتطبيقات على يد هتلر وماركس وأخيرا على يد اليهود, فجاء في الفصل الثاني: تطبيقات العنصرية:

1- تطبيق نظرية العرق والجنس على يد هتلر:
أراد هتلر أن يطبق تلك النظرية على الشعب الألماني ذي الجذور الآرية وكان يزعم بأن الدم الآري أرقى من غيره وأن

الشعب الآري يرجح على غيره من الشعوب السامية يهودية كانت أو عربية، وجعلها الأساس في تكوين الدولة التي أرادها، فبعد أن عرض في كتابه "كفاحي" النظريات المعروفة في تكوين الدول وهي نظريات ثلاث تقوم على: الإرادة المشتركة، أو اللغة، أو الاتحاد المشترك بين (سفر التكوين: الإصحاح السادس 11) العناصر المختلفة، انتقدها جميعها، وقال بأنها تتجاهل أهمية العرق كأساس ترتكز عليه القوة المبدعة والقيم، كما أنها تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه، فإن الشرط الأساسي لبقاء الدولة المتفوقة والشعب المتفوق هو بقاء العرق ذي المواهب المبدعة، فأرادها دولة عنصرية كما قال، مهمتها:

- السهر على بقاء الدم الآري الذي قدم للعالم حضارة من أسمى الحضارات وأجدرها بالبقاء.
- عزل الشعوب السامية عن الشعوب الآرية ومنع الاختلاط والامتزاج بين الأنساب متحديا بذلك الدعوات التي تطلب إزالة الحواجز الفاصلة بين الأجناس لما فيها من مساس بحقوق الإنسان وكرامته.
- توفير المناخ لنمو جيل جديد يحسن النوع البشري فيهتم به الناس بدلاً من الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب لذلك كان يرى أن الحق المقدس الوحيد هو السهر على بقاء الدم الآري نقيا طاهرا ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها.

2- التطبيق على يد ماركس وزملائه:

وهناك صورة أخرى عرضتها الماركسية كفكر وفلسفة تدعو إلى القضاء على الطبقية إلا أنها من جانب آخر تدعو إلى طبقية

أخرى، فمن الأوليات المتفق عليها عند الماركسيين أن النضال الطبقي لا بد أن يؤدي إلى دكتاتورية البروليتاريا وأن هذه الدكتاتورية عبارة عن الانتقال إلى تحطيم الطبقة وسير طبيعي إلى مجتمع لا طبقي، وهو وعد قاطع من أئمة المادية الجدلية يتضمن أن صراع الطبقات سينمحي عندما يتكامل سلطان دكتاتورية الطبقة الكادحة، وهذا الوعد في حقيقته عنصرية وطبقية؛ لأنه يسير في خط واحد ويحقق مصلحة لجهة واحدة أو طبقة واحدة وهي البروليتاريا، فليس هناك أي لون من ألوان العدل الاجتماعي أو المساواة بين الطبقات المختلفة وإنما هم الماركسيين أن يصل البروليتاريا إلى الحكم والسلطة ويقضون على الطبقة السابقة، فهي ترسيخ لطبقية من نوع جديد.

3- التطبيق العملي على يد اليهود:

اليهود من حيث الأصل هم من الساميين كما تقدم، ولكن كما هو معروف فإن الهجمة الشديدة على الجنس العربي والإسلامي لم تسلط على اليهود، وهذا يدل على تناقض وعنصرية شديدة ضد العرب والمسلمين وقد أسهم في تغذيتها أحبار اليهود وعلماؤهم؛ بل هي في حقيقة الأمر مستوحاة من كتبهم المقدسة، فالأساس العنصري لليهود يرجع إلى كتابهم التلمود الذي يعد الشرع الشفهي، فلليهودي كتابان: كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به، وكتاب آخر لا تسلط الأضواء عليه وهو التلمود ويفضل عندهم على التوراة، ويعتقد جمهور اليهود أن التلمود كتاب مقدس، ويعدونه من مصادر التشريع اليهودي ويسمى بالتوراة الشفوية ويتكون من جزأين الأول: المشناه، والثاني:

، وقد غالوا في تقديسه أكثر من التوراة نفسها، ويؤكد تلك المغالاة ما جاء في اعتراف الجماره إسرائيل شاحاك الكاتب اليهودي فقال بأن التلمود يحدد أنواع اليهود بطريقة تصاعدية: أدناهم مرتبة الجهلة كلياً، يأتي بعدهم من يعرفون التوراة فقط، ثم بعدهم من يعرف المشناه والجماره، وفي، ويدرس التلمود خفية وهو أساس المرتبة العليا من يستطيع نقاش الأجزاء الشرعية في الجماره كل عصبية وكل مصيبة، وقد اشتمل على نظرة عنصرية متعالية على الشعوب كلّها والأمم فجاء فيه:"إن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبيدا لا يجرؤ أحد في الغرب على توجيه انتقادات للديانة اليهودية فالتهمة الجاهزة هي العداء للسامية إذا كان الناقد من غير اليهود، أو اليهودي الذي يكره نفسه إذا كان يهوديا، وكلاهما يودي بصاحبه إلى التهلكة.

وقد عقد في بولونيا عام 1631 مجمع يهودي قرر بالإجماع حذف العبارات التي تهين الأخيار والاستعاضة عنها بدوائر هندسية أو بتركها بيضاء وذلك لتخفيف حدة الانتقادات التي بدأت توجه لليهودية لهم، هم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة ولم يعطوا الصورة الإنسانية إلا إكراما لأبناء إسرائيل".
لذلك كانوا يعتقدون بأن اليهودي الذي يسرق المسيحي أو يفضح امرأة أجنبية لا يعاقبه المجتمع اليهودي لأن التلمود يسمح له بذلك.
وبالغوا في تفضيل نفوس اليهود فقالوا بأن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق

الولد من جوهر أبيه، وهذا عندهم يجعل نفس اليهودي أكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من سائر البشر، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد.
واستندوا في ذلك إلى ما جاء في التلمود" اليهود وحدهم هم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات.
وقد تأثر بتلك التعاليم شراح الكتاب المقدس وقد ظهر ذلك بشكل صارخ وصريح في شرح ما جاء في سفر الخروج في الإصحاح السادس عشر من الفصل الثاني (الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب) قال الرباني موسى بن نشمان: لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب، وضعت أعياد مقدسة" ويقول راشي: "علم الصهيونيون في الأزمان السالفة أن غير اليهودي أحط من الكلب؛ لأنه في أيام العيد يعد الطعام للكلاب وليس لغير اليهودي" وقد بنوا على ذلك أحكامهم التشريعية فقالوا لا يسمح بإعطاء اللحم لغير اليهودي، بل للكلب لأنه أفضل منه"، وقالوا غير اليهودي كلب بل حمار أيضا، وغير اليهودي لا يستحق الحياة.

فالتلمود ينظر إلى اليهودي على أنه من طبيعة إلهية، وأنه مفضل على سائر الأمم وأن الحقوق التي يستحقها لا تعطى لغيره، وأن العقوبات التي تنزل بغيرهم لا تنالهم، فيجوز عندهم لليهودي أن يسرق غير اليهودي وأن يغشه، والوصايا التي تنهى عن الغش والخديعة إنما معناها لا تغش اليهودي مثلك، ولا تعني أبداً المنع من غش غير اليهودي أو سرقته ففي التلمود: " يمكنك

أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت لقريبك(اليهودي) فلا يجوز لك أن تراوغه وتساومه".
بعد هذه الدراسة المستفيضة في التفاضل والعنصرية التي حكمت علاقات البشر وعلى أساسها أقيمت الحروب ولهذا نقلت هذه النقاط المهمة التي اعتقد أنها ما زالت مترسخة في نفوس وعقول بعض الشعوب وما زالت تتوارث حقدها وتعاليها وعنصريتها وما زال بها رغبة لممارسة الأجرام بحق الأخر!

على أبواب الملحمة الكبرى تتم التحضيرات والتفسيرات وكأنها واقعة لا محالة ولا مكان فيها للسلم, كأنهم يساقون إلى الموت فالكل يبحث عن الغلبة وكل له أسبابه ولن يتوقف الصراع إلا بعد أن ترى الجثث ملقاة على قارعة الطريق لا تجد من يواريها الثرى.

كان على العالم أن يستثمر هذه الأموال في محاربة الفقر والأمراض الخطيرة التي راحت تضرب بلدان بأسرها وتشرد أهلها وتنقلهم من البيوت إلى الخيام والمخيمات, بدل المنافسة في صناعة الأسلحة والبحث عن شعوب يتم تجربة هذه الأسلحة بها بعدما تختلق الأسباب الواهية والحجج الكاذبة!

*

*

*

*

*

ثمانون راية.

ثمانون راية تجتمع لتكتب فصل جديد من الظلم في تاريخ الإنسانية الحديث, الأحاديث حددت المكان والعنوان ولم يبقى إلا الزمان.

وارى انه من الصعب الخوض في الوقائع أكثر من ذلك رغم بلوغ العلامات إلى وقتها ويعلم الله انه قد يكون اقترب موعدها, فتنة من فتن الإنسان نفسه يكتبها بغروره وانتمائه العرقي والديني والتعالي ويرفض الاعتراف بالأخر ويصنفه بأنه إنسان جاهل لا يستحق درجة الحيوان.

بدأت الحياة بحرب صغيرة فردية بين قابيل وهابيل واليوم نقترب من نفس البداية للنهي حياتنا على الأرض بالحروب وذلك أننا لم نفهم الرسائل الربانية المرسلة وبعض منها تحرف وكتب على يد الحاقدين وأسوء ما في الحروب انه ليس هناك منتصر بل مهزومين ولو قمت بدراسة لعدد الأموات بالحروب لوجدت أنها تفوق أعداد الموتى على سائر الكرة الأرضية ففي الحرب التي قادها هتلر تجاوز عدد الموتى الخمسة وعشرون مليون إنسان.

نـهاية الاسلام على الارض.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ).**
رواه مسلم (145)
قال السندي في حاشية ابن ماجه :
(غَرِيبًا) أَيْ لِقِلَّةِ أَهْله وَأَصْل الْغَرِيب الْبَعِيد مِنْ الْوَطَن (وَسَيَعُودُ غَرِيبًا) بِقِلَّةِ مَنْ يَقُوم بِهِ وَيُعِين عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ أَهْله كَثِيرًا (فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ ، و"طُوبَى" تُفَسَّر بِالْجَنَّةِ وَبِشَجَرَةٍ عَظِيمَة فِيهَا . وَفِيهِ تَنْبِيه عَلَى أَنَّ نُصْرَة الإِسْلام وَالْقِيَام بِأَمْرِهِ يَصِير مُحْتَاجًا إِلَى التَّغَرُّب عَنْ الأَوْطَان وَالصَّبْر عَلَى مَشَاقّ الْغُرْبَة كَمَا كَانَ فِي أَوَّل الأَمْر اهـ .

ونقل النووي في شرح صحيح مسلم عن القاضي عياض أنه قال في معنى الحديث :
"أَنَّ الإِسْلام بَدَأَ فِي آحَاد مِنْ النَّاس وَقِلَّة ، ثُمَّ اِنْتَشَرَ وَظَهَرَ ، ثُمَّ سَيَلْحَقُهُ النَّقْص وَالإِخْلال ، حَتَّى لا يَبْقَى إِلا فِي آحَاد وَقِلَّة أَيْضًا كَمَا بَدَأَ " اهـ .

كنا تحدثنا عن غربة المسلمين في فصل سابق والان نسلط الضوء على الاسلام نفسه كسبب لوجود الحياة على الارض وبنهايته تنتهي الحياة على الارض, فالمعنى الالهي لوجود الحياة على الارض اصله العبادة لله تعالى **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (56) الطور.

ها قد اجتمعت الاشارات بداية من انتهاء عهد الانبياء والرسل ومعها انقطاع الوحي من السماء ونهاية نزول الكتب السماوية والتي كان اخرها القرآن الكريم الذي انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد بعده لا انبياء ولا رسل ولا كتب سماوية ويبقى القرآن الحكيم وحده على الارض كتاب الله الذي تعهد بحفظه **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (9) الحجر, حتى يرفعه الله تعالى وحين يرفعه سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم ماذا يبقى من الاسلام والذي لا دين عند الله غيره وهو الدين عنده وهو سبب الخلق والوجود على الارض **(إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران.**

وحين التعمق في تفسير حديث يعود الاسلام غريبا كما بدأ رسائل واضحة انها البداية القريبة للنهاية.
فالحياة خلقت اطوارا وعليها كم من الامبرطوريات دامت في القمة قبل ان ياتي عليها الزمان لتنتهي دورة من دورات الحياة, والمتتبع للأشهر من التاريخ يجد في صفحاته الفراعنة واليونان والروم والفرس ثم المعاصرة منها بريطانيا العظمة الاتحاد السوفيتي وهاهو العملاق الامريكي يتضائل امام صعود دول المعادلة في القوى (الصين الهند روسيا امريكا اوروبا) ولن يكون هناك امبرطوريات منفردة بل ستبقى قوى كلها عظمى تهدد بعضها بعض بالدمار الشامل للجميع دون استثناء ولذلك سوف تنتهي الدورة بطريقة غريبة لم يعهدها البشر من قبل واهمها فقدان السيطرة على القانون ونزيف الارواح بين الاستغلال والعبودية مقابل الراسمالية والغنى وكثرة الفقراء وشيوع الظلم واعتياد البشر على سماع موت الاعداد وكثرة

حالات الانتحار وتفكك الاسرة وفقدان الامان ولن تصبح القضية اي من الدول العظمى يسيطر على العالم بل هي مشكلة عامة في جميع الدول وعليها فاغلب هذه الدول سوف تكون منشغلة بمشاكلها الداخلية وسينتهي معها حرب القوميات وتعود حروب الانتماءات الدينية وهذا ما يسمى صراع الحضارات ولكنها في الاصل عمق ديني غير بارز لكنها متحدة تحت شعارات دينية.
نهاية الاسلام تعني نهاية الحياة على الارض واخر علامات النهاية خروج المهدي عليه السلام وعودة عيسى المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام, وبعدها ستعود الحياة الى عصور الانحطاط والتمزق والحروب القذرة بلا رحمة ونهاية الخير والمحبة بين البشر وانحطاط الانسانية لتصبح الحياة على الارض غابة لا يسكنها الا المخلوقات المتوحشة حيث لن يكون هناك قيمة لحياة الانسان.

ربما يكون التعبير المناسب لوصف هذه النهاية الحزينة للانسان على وجه الارض (الفصل الاخير) نعم اخر فصول الانسان على الارض مكررا نهاية من سبقه على الارض, عندما وصل الجن الى نهاية عهدهم وطورهم في الحياة يوم لم يسكنها سواهم وامعانهم بالفساد, ومن ثم اعادة اصلاحها وتحميل الارث لبني ادم عليه السلام ليكون خليفة الله في الارض **(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (56) الاعراف**, وحين اعاد ابن ادم عليه الصلاة والسلام نفس الكرّة وخرج عن الطريق المرسوم له وانتهت

الضوابط يكون الانسان قد كتب بيديه الملطخة بالظلم اخر فصول الحياة على الارض.

قد تجد تسارعا كثيرا وانكباب بني البشر على محاولة فك اسرار الحياة ورموزها ولذلك دخلوا الى عالم الخلية الام لتركيبة الانسان ويجتهدون بكل ما اوتوا من سرعة لاكتشاف اسرار هذه الخلية بغية الوصول الى حياة ابدية لا ينهيها الموت.
وكل هذا العمل الذي اختلطت فيه النوايا بين الخير والشر والاقبال على هذا التحدي وغرور الانسان بعقله وبالالة التي يثق بها كثيرا وانه يعتقد انه قد بدأ يفك الرموز عروة عروة وانه على باب الدخول الى مغارة الاسرار واكتشاف الحقائق الكبرى.
تذكرت معها كتب لقصص ورويات واعمال وهمية والخيال العلمي كتبت عن ماء الخلود وارض الخلود والجزر الممنوعة والمغارات المفقودة بكنوزها وفك رموز الكتابات القديمة, واقول انها رحلة الى المجهول والبحث عنه وكأن الانسان يبحث عن الاستقلالية ولم يكتفي بالدليل الذي ارسله اليه ربه وخالقه عن طريق الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام.

يجتهد الانسان ليحرر نفسه من القيود الالهية وهو في الحقيقة يقوم بتدمير نفسه ويتجلى هذا في انقسام البشر الى طبقات والعمل على محاولة خلق نسخة جديدة خالية من الامراض وعمرها طويل والعمل على تحديد هوية السكان الجدد اي النسخة المنقحة من البشر واعدادهم حيث ان هناك تقارير لهذه الدولة التي اعماها الغرور تقول ان عدد سكان العالم قد تجاوز الرقم المحدد له بكثير وعليه فان على ملايين البشر يجب ان

تموت حتى يعود التوازن للحياة, والحقيقة المرّة والغبية ان القول وقع على الدول العذراء التي سموها دول العالم الثالث ومنها افريقيا التي تحمل في اعماق هذه القارة مخزون احتياطي تركوه بدون استغلال لكي يكون المخزون المنقذ للحياة في المستقبل.
لذلك تسمع بعض التقارير تقول ان هناك اكثر من نصف مليار انسان يجب ان يموتوا حتى يعود التوازن للكرة الارضية وتصبح مهيئة معها للعيش.
حتى الاحتباس الحراري لم يعد من اولويات الدول العظمى لانها مشغولة بالسباق الاقتصادي وان نتائجه العكسية لن تضرب الا الدول التي ليس بها بنية تحتية تتحمل الكوارث الطبيعية وكلما نقص اعداد الاحياء كلما اقتربوا من الارقام التي وضعوها لاعداد السكان المقترحة على الارض حسب تقديرهم.

اخر العلامات الكبرى للساعة.

ان اكبر الاشارات والعلامات على نهاية الاسلام ودخول الساعة في مراحلها الاخيرة هو خروج المهدي عليه السلام وعودة المسيح عيسى ابن مريم عليهم السلام, جاء عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: **طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ماذا تذاكرون؟،**

قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) رواه مسلم (2901)، وأبو داود (4311)، والترمذي (2183).

وهذه من اكبر الملاحظات على أن الساعة تكون على إثر هذه الآيات؛ فهي تدل على قربها, وأن هذه العلامات جاءت متتابعة، وفي هذا الترتيب **قال صلى الله عليه وسلم: الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضًا, رواه الحاكم (4/ 589) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد (2/ 219) من حديث أنس، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1762).**

وبما انه لم يرد احاديث ترتب حدوثها ولكن حسب نطاق الترتيب في الحديث تكون ومنها خروج الدجال، ثم نزول عيسى، ثم يأجوج ومأجوج.

كما أشارت الأحاديث إلى أن آخرها النار التي تخرج من عدن، وأما بقية الآيات فلم ترد أحاديث في بيان موقعها وترتيبها.

خروج المهدي آخر الزمان.

تختلف الروايات في خروجهم الى الوجود بين منكر انكارا تاما بانها من الخرافات وانه لا وجود لهم الا في كتب الخرافات كما يدعي البعض وانه لا اثبات ولا دليل يؤكد خروج المهدي والمسيح عيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام, وبين من يؤمن بانبعاثهم من خلال ما ورد في الاحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد بصحتها انهما سوف يخرجان الى الحياة, والباحث في هذا الباب سوف يجد في العقيدة النصرانية واليهودية تتشابه القصص وتؤكد انهما سيخرجان وسوف يخلّصان العالم من الشر.

فيعتقد أهل السنة أن من أشراط الساعة خروج المهدي آخر الزمان، فيملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويفيض المال.

وقد جاءت السنة ببيان اسمه وصفته ومكان خروجه، فمن ذلك:

1- ما رواه أحمد والترمذي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي" وفي رواية لأبي داود: "يواطيء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي".** والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر والألباني.

2- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض**

قسطا وعدلاً، كما ملئت ظلما وجوراً، يملك سبع سنين" رواه أبو داود والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
3- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"المهدي من عترتي من ولد فاطمة"** رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

4- وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة"** رواه أحمد وابن ماجه، وصححه أحمد شاكر والألباني. قال ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم: (أي يتوب الله عليه، ويوفقه ويلهمه، ويرشده بعد أن لم يكن كذلك).

5- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويُعطي المال صحاحاً، وتخرج الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً. يعني حججا"** رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: هذا سند صحيح رجاله ثقات.
6- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لم أحفظه فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي"** رواه ابن ماجه والحاكم وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير: هذا إسناد قوي صحيح.

قال ابن كثير: "والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث" انتهى.

7- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم"** رواه البخاري ومسلم.

8- وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"** قال: "فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة" رواه مسلم. وفي رواية عند الحارث بن أبي أسامة " فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا..." الحديث، قال عنه ابن القيم في المنار المنيف: هذا إسناد جيد.

فهذا بعض ما ورد في ذكر المهدي وخروجه آخر الزمان . وليعلم أن أحاديثه بلغت حد التواتر كما صرح بذلك جماعة من أهل العلم.

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية (**وقد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدّ من معتقداتهم" إلى أن قال: "وقد روي عمن ذُكر من الصحابة وغير من ذُكر منهم رضي الله عنهم، بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعه**

العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة" انتهى.

وقال الشوكاني: "والأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر ، التي أمكن الوقوف عليها ، منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول..." انتهى.

وقد أنكر جماعة خروج المهدي محتجين بحديث "ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم" وهو حديث رواه ابن ماجه والحاكم، لكنه ضعيف كما جزم بذلك جماعة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. والله أعلم.

المسلمون يعتقدون أنه في آخر الزمان يكون رجل صالح اسمه المهدي ، يجمع المسلمين ويقودهم ، ويكون مقدمة لنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأي غرابة في أن ينتظر المسلمون شخصين لا شخصا واحدا ؟! أحدهما رجل صالح ، وإمام من أئمة المسلمين ، وهو المهدي ، والآخر نبي ورسول من أولي العزم ، وهو عيسى عليه السلام .

قال ابن القيم رحمه الله : " والأمم الثلاث تنتظر منتظرا يخرج في آخر الزمان ، فإنهم وُعدوا به في كل ملة . والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل أعدائه من اليهود وعبّاده من النصارى ، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ

الأرض عدلا كما ملئت جورا " انتهى من "إغاثة اللهفان" (2/ 338).

روى البخاري (2222) ومسلم (155) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ) .**

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا ، فيقول : لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة "** أخرجه الحارث بن أبي إسامة في مسنده ، وقال ابن القيم في المنار المنيف (147/1) إسناده جيّد . والحديث أصله في صحيح مسلم بدون تسميه الأمير بلفظ : **" .. فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ . "** رواه مسلم (225).
وهذا الترتيب يدل على أن المهدي يبعث قبل عيسى عليه الصلاة والسلام، وأن عيسى عليه السلام يصلي خلف المهدي عليه السلام ثم يكون الحكم لعيسى عليه السلام بعد أن يقتل الدجال، وهو مسيح الضلالة الذي ينتظره اليهود.

بعث عيسى عليه الصلاة والسلام.

فالمسلمون كغيرهم ينتظرون خروج المسيح عليه الصلاة والسلام او انبعاثه او عودته ولكن ينتظرون المسيح الحق الذي مكتوب عند المسلمين في القرآن الكريم والذي هو جزء لا يتجزأ من عقيدتهم وايمانهم انه لم يُقتل ولم يصلب، والنصارى ينتظرون المسيح الذي يزعمون وكما يعتقدون انه قتل وصلب ودفن وله قبر، واليهود كذلك ينتظرون المسيح والذي يراه المسلمين انه الدجال والذي يقتله الله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام كما ورد في الاسلام.

وقد دلت السنة النبوية الشريفة على أن هلاك قوم يأجوج ومأجوج يكون ايضا بدعاء نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام, يهلكون بدعاءه عليهم وهذا يدلنا على انهم سوف يجتمعون جميعا في نفس الزمان والمكان من الارض، وبهذا تطهر الأرض من أهل الشرك والكفر حسب ما ورد في الاحاديث النبوية الشريفة، ولا يبقى إلا أهل التوحيد والإيمان حيث تكون فترة تجديد لهذا الدين الحنيف والفرصة الاخيرة لكل من اراد عبادة الله على حق وبصيرة غير متحيز لفئة او جماعة او طائفة لانه بعد هذا الفرصة سوف تاتي الطامة الكبرى وانه لن يكون هناك تجديد ولا بعثات ربانية ولا فرص بل بداية النهاية:

وكما جاء في صحيح مسلم (2937) بعد ذكر فتنة الدجال: (فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ

مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ [أي يبحث عن الدجال] حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ).

فتنة الدجال.

المهدي عليه السلام يتبعة خروج عيسى عليه الصلاة والسلام وبنفس الوقت يكون قد خرج الدجال بفتنته وخرج **"قوم يأجوج ومأجوج"** من سجنهم بعدما جاء وعد الله ودكوا السور الذي ضرب عليهم وهذه دلالات على ان اكبر الايات الدالة على قيام الساعة قد تحققت.

***معنى المسيح :**
لقد ذكر العلماء ما يزيد عن خمسين قولاً في معنى " المسيح " . وقالوا أن هذا اللفظ يطلق على الصدّيق وعلى الضلّيل الكذاب ، فالمسيح عيسى ابن مريم الصدّيق ، مسيح الهدى ، يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحي الموتى بإذن الله وهذه صفاته من خلال القرآن الكريم.

والمسيح الدجال هو الضلّيل الكذاب ، مسيح الضلالة يفتن الناس بما اغوي واعطي من الآيات كإنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق والتي سوف يصدقها الكثير لانه سوف يدعي بانه الخالق وقد خلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر وبعثهما في نفس الزمان والمكان.

لماذا سمي الدجال بالمسيح؟
قال العلماء في سبب هذه التسمية الدجال بالمسيح : أن إحدى عينيه ممسوحة ، وقيل : لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً .. والقول الأول هو الراجح ، لما جاء في الحديث الذي رواه مسلم

برقم 5221 عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ .. " .

***معنى الدجال :**
كما جاء في اللغة العربية معنى الدجال الاصل فيها من الدَّجل : وهو الخلط والتلبيس ، ويقال دَجَلَ إذا لبّس ومَوَّهَ، والدجال : تعني المُمَوِّه الكذاب ، الذي يُكثِر من الكذب والتلبيس.
ولفظة " الدجال " أصبحت عَلَمَاً على المسيح الأعور الكذاب ، وسمي الدجال دجالاً: لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم .
***صفة الدجال والأحاديث الواردة في ذلك :**
الدجال رجل من بني آدم ، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به ، وتحذيرهم منه ومن شره، وجاءت الاحاديث حتى إذا خرج يوم يخرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق صلى الله عليه وسلم وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس، فيعرفه المؤمنين ولا يصدقونه ولا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة ولا يعلم شؤون دينه.

ومن هذه الصفات :
جاء في وصف الدجال (أنه رجل شاب أحمر ، قصير ، أفحج جعد الرأس ، أجلى الجبهة ، عريض النحر ، ممسوح العين اليمنى ، وهذه العين ليست بناتئة - منتفخة وبارزة - ولا جحراء - غائرة - كأنها عنبة طافئة) .

وان عينه اليسرى عليها ظفرة - لحمة تنبت عند المآقي - غليظة . ومكتوب بين عينيه " ك ف ر " بالحروف المقطعة ، أو " كافر " بدون تقطيع ، يقرؤها كل مسلم ، كاتب وغير كاتب .
وجاء ايضا ان من صفاته أنه عقيم لا يولد له.

وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة وهي من الأدلة على ظهور الدجال :
1- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ . فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ "** رواه البخاري برقم 6508 ، وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ .

2- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : **" إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ .. "** رواه البخاري برقم 3184 .

3- وفي الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : " ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ .. " **فقال في**

وصف الدجال : " **إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ - شديد جعودة الشعر- عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ** " رواه مسلم برقم 5228 .

4- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا ، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا حَجْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**"رواه أبو داود برقم 3763، والحديث صحيح (صحيح الجامع الصغير/ حديث رقم 2455) .

5- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **.. وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ أَجْلَى الْجَبْهَةِ عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَفَأٌ - إنحناء - ..** " رواه أحمد برقم 7564 .

6- وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، جُفَالُ الشَّعَرِ - كَثِيرُهُ - مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ** " رواه مسلم برقم 5222 .

7- وفي حديث أنس رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ** " **رواه**

البخاري برقم 6598 ، وفي رواية : " وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر " مسلم برقم 5219 ، وفي رواية عن حذيفة : " يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ " مسلم برقم 5223 .

وهذه الكتابة حقيقية على ظاهرها ، ولا يشكل رؤية بعض الناس لهذه الكتابة دون بعض ، وقراءة الأمي لها " وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء ، فهذا يراه المؤمن بعين بصره ، وإن كان لا يعرف الكتابة / ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة ، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراه الكافر فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلّم ، لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات " فتح الباري لابن حجر العسقلاني (13 / 100) .

ومختصر الجواب عن الإشكال أنّ الله على كلّ شيء قدير فهو قادر على أن يري هذه الكتابة بعض الناس دون بعض وقادر على أن يجعل الأمّي يقرؤها .
قال النووي : " الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها ، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله يظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ، ولا امتناع في ذلك " شرح النووي لصحيح مسلم (18 / 60) .

8- ومن صفاته أيضاً ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في قصة الجسّاسة ، وفيه قال تميم الداري رضي الله

عنه : " **فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا** " رواه مسلم برقم 5235 .

9- وفتنته عظيمة جدا لدرجة أنه ليس بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من فتنة المسيح الدجال كما جاء وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ** " رواه مسلم برقم 5239 . وفي رواية أحمد عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ . مسند الإمام أحمد 15831

10- وأمّا أن الدجال لا يُولَدُ له فلما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصته مع ابن صياد ، فقد قال لأبي سعيد : " **أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّهُ لا يُولَدُ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : بَلَى ..** " رواه مسلم برقم 5209 .

والملاحظ في الروايات السابقة أن في بعضها وصف عينه اليمنى بالعور وفي بعضها وصف عينه اليسرى بالعور ، وكل الروايات صحيحة ، وقد جمع بعض أهل العلم بين هذه الروايات ، فقال القاضي عياض : " أن عيني الدجال كلتيهما معيبة ، لأن الروايات كلها صحيحة ، وتكون العين اليمنى هي العين المطموسة والممسوحة ، العوراء الطافئة - بالهمز- التي ذهب نورها كما في حديث ابن عمر . وتكون العين اليسرى : التي عليها ظفرة غليظة وطافية - بلا همز - معيبة أيضاً " . فهو

أعور العين اليمنى واليسرى معاً ، فكل واحدة منها عوراء أي معيبة ، فإن الأعور من كل شيء المعيب ، لا سيما ما يختص بالعين ، فكلتا عيني الدجال معيبة عوراء ، إحداهما بذهابهما والأخرى بعيبها .
ووافق القاضي عياض على هذا الجمع النووي ، ورجحه القرطبي .

***مكان خروج الدجال :**
يخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان ، من يهودية أصبهان ، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله ، إلا مكة والمدينة ، فلا يستطيع دخولهما لأن الملائكة تحرسهما .

ففي حديث فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الدجال : **" أَلا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ "** رواه مسلم برقم 5228 .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **" الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ "** رواه الترمذي برقم 2163 . صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير / حديث رقم 3398) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ "** رواه أحمد برقم 12865 .

الأماكن التي لا يدخلها الدجال :
لقد حرم الله تعالى على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان ، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك ، وأما ما سوى ذلك من البلدان فإن الدجال سيدخلها واحداً واحداً بعد الآخر .

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجّال قال : **" وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلا أَدَعَ قَرْيَةً إِلا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا "** رواه مسلم برقم 5228 .

وثبت أيضاً أن الدجال لا يدخل مسجد الطور ، والمسجد الأقصى . روى الإمام أحمد برقم 22572 من حديث جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : أتيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّجَّالِ ، فذكر الحديث وقال : **" وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ مَسْجِدَ الْحَرَامِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَالطُّورِ وَمَسْجِدَ الأَقْصَى "** .

من هم أتْباع الدجال :
أكثر أتباع الدجال سوف يكون من اليهود والعجم والترك ، وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه برقم 5237 عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ** " والطيالسة : كساء غليظ مخطط . وفي رواية للإمام أحمد : " **سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ** " حديث رقم 12865 .
وجاء في حديث أبي بكر السابق : " **يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ** " رواه الترمذي برقم 2136 .

وأما كون الأعراب يتبعون الدجال ، فلأن الجهل غالب عليهم ، أما النساء لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل بالدين وقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ - وادٍ بالمدينة - فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِباطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ** " رواه أحمد برقم 5099 .

ما هي فتنة الدجال :

كم من الفتن مرت على البشرية وتبقى فتنة الدجال هي أعظم الفتن منذ خلق الله آدم عايه السلام إلى قيام الساعة، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب وبهذا تكون فتنة عظيمة ليس من السهل تجنبها لانها ستكون قضية محورية لعموم البشر.

فقد ورد في الاحاديث عن قدراته وما يستطيع ان يفتن الناس به أن معه جنة وناراً، وجنته هي ناره وناره هي جنته، وجاء معه ان من قدراته أن معه أنهار الماء وجبال الخبز، وانه يأمر

السماء أن تمطر امام البشر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وكذلك تتبعه كنوز الأرض، وانه يملك ان يقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث استدبرته الريح، إلى غير ذلك من الخوارق . وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة .
فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، جُفَالُ الشَّعَرِ - كَثِيرُهُ - مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ** " رواه مسلم برقم 5222 .
وروى لمسلم أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لأنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ : مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ** " رواه مسلم برقم 5223 .

كما جاء في نفس الاثر حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدجال:
أن الصحابة قالوا : " **يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ** " " .. **قالوا : وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ . فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ - الماشية - أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا - الأعالي والأسنمة - وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ - كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل - . ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ**

عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ . ثُمَّ يَدْعُو رَجُلا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ " رواه مسلم برقم 5228 .

وجاء في رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال من خيار الناس أو خير الناس، يخرج إلى الدجال من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول للدجال : " **أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ . فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ لا . فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ، فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ** " البخاري برقم 6599 .

وجاء ايضا في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال : " **وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولانِ يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ** " رواه ابن ماجه برقم 4067 . وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير / حديث رقم 7752) .

كيف الوقاية من فتنة الدجال؟

لقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها

كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وانه عليه الصلاة والسلام لم يدع خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا وحذرها منه ، ومن جملة ما حذّر منه عليه الصلاة والسلام: فتنة المسيح الدجال لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيراً من صفات الدجال ليُحذِّرَ أمته فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة، لأنها آخر الأمم ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين . وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة التي نسأل الله العظيم أن يعافينا ويعيذنا منها اللهم امين:

ان التمسك بالإسلام ، والتسلح بسلاح الإيمان ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزه عن هذه الصفات، وأن الدجال أعور والله سبحانه وتعالى فوق ذلك من الاوصاف، وأنه لا أحد من المخلوقات يستطيع ان يرى ربه حتى يموت والدجال يستطيع ان يراه غالبية الناس حال خروجه المؤمن منهم والكافر.

لذلك وجب التعوذ من فتنة الدجال والوقوع فيها، وخاصة في الصلاة ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، منها ما روي عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة : " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ**

الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " رواه البخاري برقم 789 .
وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** " رواه مسلم برقم 924 .

وقد جاء في حفظ آيات من سورة الكهف تنفع المؤمنين عند وقوع فتنة الدجال، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها.
ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل ، وفيه قوله : " **فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ** " حديث رقم 5228 .

وروى مسلم برقم 1342 عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ " أي : من فتنته ، قال مسلم : قال شعبة : " مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ و قَالَ هَمَّامٌ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْف** " .

قال النووي : " **سَبَب ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلهَا مِنْ الْعَجَائِب وَالآيَات , فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَمْ يُفْتَتَن بِالدَّجَّالِ , وَكَذَا فِي آخِرهَا قَوْله تَعَالَى : (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا ..)** " شرح صحيح مسلم 6 / 93 .

وهذا من خصوصيات سورة الكهف فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة ، روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّوْرِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ "** المستدرك (2 / 368) ، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير / حديث رقم 6346) .

ولا شك أن سورة الكهف لها شأن عظيم ، ففيها من الآيات الباهرات كقصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين وبناءه للسد العظيم حائلاً دون يأجوج ومأجوج ، وإثبات البعث والنشور والنفخ في الصور ، وبيان الأخسرين أعمالاً وهم الذين يحسبون أنهم على الهدى وهم على الضلالة والعمى, فينبغي لكل مسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها وترديدها وخاصة في خير يوم طلعت عليه الشمس ، وهو يوم الجمعة .
الفرار من الدجال والابتعاد منه ، والأفضل سكنى مكة والمدينة ، والأماكن التي لا يدخلها الدجال ، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس ، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال ، نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين .

روى الإمام أحمد (19118) وأبو داود (3762) والحاكم (531/4) عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ - يبتعد - مِنْهُ ،**

فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَتَّبِعُهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ بِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ " .

*** هلاك الدجال :**

يكون هلاك الدجال على يدي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، وذلك الدجال يظهر على الأرض ويكثر أتباعه وتعم فتنته ، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين . وعند ذلك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق ، ويلتف حوله عباد الله المؤمنين ، فيسير بهم قاصداً المسيح الدجال ، ويكون الدجال عند نزول عيسى عليه السلام متوجهاً نحو بيت المقدس، فيلحق به عيسى عند باب " لُد " - بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس - ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فيقول له عيسى عليه السلام : **" إن لي فيك ربة لن تفوتني "** فيتداركه عيسى فيقتله بحربته ، وينهزم اتباعه فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

بعض الأحاديث الواردة في هلاك الدجال وأتباعه :

نذكر بعض الاحاديث التي وردت في هلاك الدجال وهلاك اتباعه منها ما روى الامام مسلم برقم 5233 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ .. " فذكر الحديث ، وفيه : " فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ "** .

كما وروى الإمام أحمد برقم 14920 والترمذي برقم 2170 عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **" يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ "** .

وروى مسلم برقم 5228 عن النواس بن سمعان رضي الله عنه حديثاً طويلاً عن الدجال ، وفيه قصة نزول عيسى وقتله للدجال ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : **" فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ "**

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنْ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنْ الْعِلْمِ " فذكر الحديث وفيه : " ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنْ السَّحَرِ فَيَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ فَيَقُولُونَ هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُقَامُ الصَّلاةُ فَيُقَالُ لَهُ تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ فَيَقُولُ لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ فَإِذَا صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ قَالَ فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي يَا رُوحَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَلا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلا قَتَلَهُ "** حديث رقم 14426 .
وبقتله - لعنه الله - تنتهي فتنته العظيمة ، وينجي الله الذين آمنوا من شره وشر أتباعه على يدي روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه المؤمنين ولله الحمد والمنة.

قوم يأجوج ومأجوج.

ان وجود قوم يأجوج ومأجوج وخروجهم انما هي حقيقة قرآنية، وليست من قصص الخيال العلمي، ولا واحدة من قصص الحكواتي ولا هي اعتقاد يؤّله كل على هواه وحسب ما يتصوره، بل هي أخبار محددة، وصفات معينة, وقال تعالى في سورة الكهف: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)** [الكهف: 93 - 97]

وكل مسلم يقرأ هذه الآيات يفهم مضامينها بكل وضوح من ظاهر معناها ولا يحتاج القارئ ان يكون عالما مفسرا، أن هؤلاء الأقوام **"يأجوج ومأجوج"** حسب ما جاء في سورة الكهف حُبسوا وراء السد الذي بناه ذو القرنين، ليحول بينهم وبين إفسادهم في الأرض. ثم عقب الله عز وجل على هذا الخبر اليقين بقوله سبحانه: **(قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)** [الكهف: 98]

وقد بين القرآن الكريم في موضع آخر المقصود بـ "وعد الله" هنا، وسماه "الوعد الحق"، وذلك في قوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ**

الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: 96، 97]
ففتح يأجوج ومأجوج يعني اقتراب الوعد الحق، وهو وعد القيامة الذي تشخص فيه أبصار الكفار.

يقول الإمام الطبري رحمه الله:
"حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحقّ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جلّ ثناؤه, وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، يعني ابن قيس، قال: ثنا حذيفة:
لو أن رجلا افتلى فَلوّا بعد خروج يأجوج ومأجوج ، لم يركبه حتى تقوم القيامة.
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) قال: اقترب يوم القيامة منهم، والواو في قوله (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) مقحمة، ومعنى الكلام: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج: اقترب الوعد الحقّ" انتهى من "جامع البيان" (533/18).

كما وضحت السنة النبوية أن "وعد الله" الذي هو ميقات دك السد، أو الجبلين، سيكون آخر الزمان، مع أشراط الساعة الكبرى، بل وبعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قَالَ: **(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟**
قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ)
رواه مسلم في "صحيحه" (2901).
وروى مسلم في "صحيحه" (رقم/2937) أيضا حديثه الطويل عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قَالَ: (ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ [فذكر من وصف الدجال وخبره ثم قال]
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ.
وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ

لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللّهُ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ .... إلى آخر الحديث).

وهذه الأخبار والآثار والظواهر القرآنية تدل بوضوح على بطلان القول بأن "يأجوج ومأجوج" قد خرجوا بالفعل سابقا، أو أنهم يتجسدون حاليا بالفساد الذي تنشره الحضارة الغربية في بلادنا وبلاد العالم.

يقول ابن حزم رحمه الله:

"حتى لو خفي مكان يأجوج ومأجوج والسد فلم يعرف في شيء من المعمور مكانه ، لما ضر ذلك خبرنا شيئا...

واعلموا أن كل ما كان في عُنْصُر الإمكان، فأدخله مُدخِل في عنصر الامتناع بلا برهان، فهو كاذب مبطل جاهل أو متجاهل، لا سيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره.

وإنما الشأن في المحال الممتنع التي تكذبه الحواس والعيان، أو بديهة العقل، فمن جاء بهذا فإنما جاء ببرهان قاطع على أنه كذاب مفتر. ونعوذ بالله من البلاء" انتهى من **"الفصل في الملل والأهواء والنحل" (96/1)**

ويقول ابن رشد ـ الجد ـ :
"وأما الأشراط الكبار التي بين يدي الساعة، فمنهما الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها" انتهى من "البيان والتحصيل" (193/17)
ويقول ابن العربي المالكي رحمه الله:
"وذلك موافق للحديث قبله؛ لأن نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة، وسيقاتل الدجال، ويأجوج ومأجوج، وهو آخر الأمر" انتهى من "أحكام القرآن" (146/1)
وهكذا توارد العلماء على ذكر يأجوج ومأجوج ضمن أشراط الساعة المتأخرة، كما فعل الغزنوي الحنفي في "أصول الدين" (ص204)، وابن قدامة في "لمعة الاعتقاد" (ص30)، والقرطبي في "التذكرة" (ص1288)، ويوسف بن يحيى الشافعي في "عقد الدرر" (ص316).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
"(يوم يأتي تأويله) إلى آخر الآية. وإنما ذلك مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها: كالدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ومجيء ربك والملك صفا صفا، وما في الآخرة من الصحف والموازين، والجنة والنار، وأنواع النعيم والعذاب، وغير ذلك" انتهى من "مجموع الفتاوى" (278/13).

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:
"ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه [يعني : المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام] بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة

واحدة ببركة دعائه عليهم" انتهى من "شرح الطحاوية" (ص514).

ويقول العلامة السفاريني رحمه الله:
" خروجهم من وراء السد على الناس، حق ثابت، لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يُحِله عقل، فوجب اعتقاده" انتهى من "لوامع الأنوار البهية" (115/2).
وكل ما سبق يدل على خطأ قول من قال إن خروج يأجوج ومأجوج قد مضى وانقضى؛ إذ كيف يكون كذلك ولم تقع أيٌّ من العلامات الكبرى، ولم ينزل المسيح، ولم يخرج المهدي، ولم يفسدوا في الأرض إفسادهم المحدد الموصوف في الأحاديث الشريفة الصحيحة!
وإذا كان يأجوج ومأجوج أقواما معينين محددين، بل وكانوا محصورين وراء ردم خاص، فلماذا يعاد تفسيرهم وكأنهم "ظاهرة"، أو "حضارة مطلقة"، وليسوا شعبا محددا، ولا فئة معينة!
هذا كله خروج عن ظاهر النص لغير معنى، بل ويؤدي إلى فساد المعنى ، فسادا بينا ، لا يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه ، إلا يترك النص الشرعي جملة وتفصيلا ، لأجل ذلك البهتان والهذيان !!

وأما الاحتجاج بعدم اكتشاف مكان الردم الذي بناه ذو القرنين لغاية اليوم، فليس دليلا قويما لتأويل جميع هذه الظواهر الواردة في الكتاب والسنة؛ فالإنسان مهما ارتفع بعلمه يظل ناقصا وقاصرا بقصوره البشري، ونحن نشهد اليوم هذا القصور حيث

تستمر الاكتشافات الأرضية الجديدة، ويتعرف العلماء على ما لم يشهدوه من قبل، بل ويفقدون الطائرات والسفن في البحار والمحيطات ولا يعثرون لها على أثر، رغم بذلهم الجهود المضنية في هذا السبيل، الأمر الذي يؤكد لك العجز البشري مهما بلغ من العلم والفهم.

يقول العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله:
"إن دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلةٌ؛ فإن بقعة كل من القُطْبَيْنِ لا سِيَّمَا القطب الجنوبي لا تزال مجهولةً.
وقد استدل بعض العلماء على أن السدّ بني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين إلى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها، وليس ذلك إلا جهة الشمال ، أو جهة الجنوب.
ولا يعترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة إلى أحد القطبين؛ فإن حالة مدنِيّة ذلك العصر ظن وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن ، فنبني عليها اعتراضًا كهذا.
فما يدرينا أن الاستطراقَ إلى أحد القطبين، أو كليهما، كان في زمن ذي القرنين سهلاً!
فكم من أرضٍ يابسةٍ فاضت عليها البحار فغمرتها بطول الزمان، وكم من أرض انحسر عنها الماء، فصارت أرضًا عامرة متصلةً بغيرها أو منفردةً (جزيرةً). وكم من مدينة طُمِسَتْ حتى لا يُعْلَمَ عنها شيءٌ.
ومِن المعلوم الآن من شئون المدنيات القديمة بالمشاهدة أو الاستدلال، ما يجهل بعض أسبابه كالأنوار والنقوش والألوان

وجر الأثقال عند المصريين القدماء" انتهى من "مجلة المنار" (274/11).

ويقول العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله:
"اعلم أولا أنا قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفي بإيضاح المقصود وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم فإنا نتمم بيانه بذكر السنة المبينة له، وقد قدمنا أمثلة متعددة لذلك .
فإذا علمت ذلك فاعلم أن هاتين الآيتين لهما بيان من كتاب، أوضحته السنة، فصار بضميمة السنة إلى القرآن بيانا وافيا بالمقصود، والله جل وعلا قال في كتابه لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل/44 .**
فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الآية الكريمة، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج، إنما يجعله الله دكا عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة ; لأنه قال هنا: **(فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور) الآية الكهف/98 - 99]** ، وأظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين يومئذ من قوله: (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) : أنه يوم إذ جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم ...

وآية الأنبياء المشار إليها هي قوله تعالى: **(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) الآية الأنبياء/96 - 97;** لأن قوله: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، وإتباعه لذلك بقوله: (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) : يدل في الجملة على ما ذكرنا في تفسير آية الكهف التي نحن بصددها .

وذلك يدل على بطلان قول من قال: إنهم روسية، وأن السد فتح منذ زمان طويل!

فإذا قيل: إنما تدل الآيات المذكورة في الكهف والأنبياء على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السد، واقترابه من يوم القيامة لا ينافي كونه قد وقع بالفعل، كما قال تعالى: (اقترب للناس حسابهم) الآية، وقال: (اقتربت الساعة وانشق القمر)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويل للعرب، من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها) الحديث.

وقد قدمنا في سورة المائدة، فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذكر لا يستلزم اقترانه به، بل يصح اقترابه مع مهلة، وإذا فلا ينافي دك السد الماضي المزعوم، الاقتراب من يوم القيامة، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يدك السد إلى الآن ؟

فالجواب:

هو ما قدمنا، أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيا بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له، ولذلك ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة; لأنها مبينة للقرآن [ثم ساق الأحاديث السابقة، ثم قال]:

وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي صلى الله عليه وسلم: بأن الله يوحي إلى عيسى ابن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال، فمن يدعي أنهم روسية، وأن السد قد اندك منذ زمان، فهو مخالف لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة صريحة لا وجه لها .

ولا شك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فهو باطل; لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم، ولم يثبت في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنده، ووضوح دلالته على المقصود.

والعمدة في الحقيقة لمن ادعى أن يأجوج ومأجوج هم روسية، ومن ادعى من الملحدين أنهم لا وجود لهم أصلا : هي حجة عقلية في زعم صاحبها، وهي بحسب المقرر في الجدل قياس استثنائي، مركب من شرطية متصلة لزومية في زعم المستدل به ، يستثنى فيه نقيض التالي، فينتج نقيض المقدم، وصورة نظمه أن يقول:

لو كان يأجوج ومأجوج وراء السد إلى الآن، لاطلع عليهم الناس، لتطور طرق المواصلات، لكنهم لم يطلع عليهم أحد.

ينتج: فهم ليسوا وراء السد إلى الآن; لأن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم كما هو معلوم.

وبعبارة أوضح لغير المنطقي; لأن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم، هذا هو عمدة حجة المنكرين وجودهم إلى الآن وراء السد .

ومن المعلوم أن القياس الاستثنائي المعروف بالشرطي، إذا كان مركبا من شرطية متصلة واستثنائية، فإنه يتوجه عليه القدح من ثلاث وجهات:
الأولى: أن يقدح فيه من جهة شرطيته، لكون الربط بين المقدم والتالي ليس صحيحا.
الثانية: أن يقدح فيه من جهة استثنائيته.
الثالثة: أن يقدح فيه من جهتهما معا.
وهذا القياس المزعوم يقدح فيه من جهة شرطيته فيقول المعترض: الربط فيه بين المقدم والتالي غير صحيح، فقولكم: لو كانوا موجودين وراء السد إلى الآن، لاطلع عليهم الناس: غير صحيح، لإمكان أن يكونوا موجودين، والله يخفي مكانهم على عامة الناس، حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس.
ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة، وهم في فراسخ قليلة من الأرض، يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه، لأنهم لو اجتمعوا بالناس، لبينوا لهم الطريق .
وعلى كل حال، فربك فعال لما يريد، وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه صادقة .
وما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف ما ذكرنا، ونحوه من القصص الواردة في القرآن والسنة الصحيحة، زاعمين أنه منزل في التوراة أو غيره من الكتب السماوية : باطل يقينا لا يعول عليه; لأن الله جل وعلا صرح في هذا القرآن العظيم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - بأنهم بدلوا وحرفوا وغيروا في كتبهم. بخلاف هذا القرآن

العظيم، فقد تولى الله جل وعلا حفظه بنفسه، ولم يكله إلى أحد حتى يغير فيه أو يبدل أو يحرف" انتهى باختصار من " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (4/197-204) .

ويقول الشيخ حمود التويجري رحمه الله:

"ومن العصريين من يزعم أن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر [فذكر الأدلة السابقة ثم قال]: وفي هذه الأحاديث دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج، إنما يكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وذلك عند اقتراب الساعة كما هو منصوص عليه في قوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ)** أي دنا قيام الساعة .

وفي هاتين الآيتين، مع الأحاديث التي تقدم ذكرها: أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر في آسيا وأوربا وأمريكا وغيرها من بلاد المشركين؛ لأن هؤلاء الكفرة لم يزالوا مختلطين بالناس، ولم يكن بينهم وبين الناس سد من حديد يحول بينهم وبين الخروج على الناس...

ومن المعلوم عند كل عاقل أن دول آسيا وأوربا وأمريكا لم تزل في أماكنها منذ زمان طويل، وأنه ليس بينهم وبين غيرهم سد من حديد يمنعهم من الخروج والاختلاط بغيرهم من الناس.

فصفة يأجوج ومأجوج لا تنطبق على الدول المعروفة الآن .

وقد تقدم في عدة أحاديث صحيحة أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون بعد نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- وقتل الدجال، وأنهم لا يمكثون بعد خروجهم على الناس إلا مدة يسيرة، ثم يدعو عليهم نبي الله عيسى فيهلكهم الله جميعًا كموت نفس واحدة، فهم بلا شك أمة عظيمة، قد حيل بينهم وبين الخروج

على الناس بالسد الذي بناه ذو القرنين، وهذا السد لا يندك إلا إذا دنا قيام الساعة، كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز.
وأما كون السائحين في الأرض لم يروا يأجوج ومأجوج ولا سد ذي القرنين، فلا يلزم منه عدم السد ويأجوج ومأجوج، فقد يصرف الله السائحين عن رؤيتهم ورؤية السد، وقد يجعل الله فوق السد ثلوجًا متراكمة بحيث لا تمكن رؤية السد معها، أو يجعل الله غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد.
والواجب على المسلم الإيمان بما أخبر الله به في كتابه عن السد ويأجوج ومأجوج، وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يجوز للمسلم أن يتكلف ما لا علم له به، ولا يقول بشيء من أقوال المتكلفين المتخرصين، بل ينبذها وراء ظهره ولا يعبأ بشيء منها.
والمقصود ههنا بيان أن إنكار السد ، ويأجوج ومأجوج بالكلية : كفر بلا شك، لما في ذلك من تكذيب ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم عن السد ويأجوج ومأجوج .
وأما الاعتراف بوجود السد في قديم الزمان، والقول بزواله بعد زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وخروج يأجوج ومأجوج واختلاطهم بالناس، فهذا أخف من القول الأول لما فيه من التأويل، ولا ينبغي أن يطلق الكفر على قائله، ولكن لا يجوز اعتقاده؛ لأنه قول باطل مخالف لما أخبر الله به في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن السد، أنه لا يندك إلا إذا دنا قيام الساعة، وأن خروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد نزول عيسى وقتل الدجال.

[ثم] إن أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم : قد كانوا موجودين في جميع الجهات شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالا، وعن أيمان المسلمين وعن شمائلهم ومن خلفهم، من قبل أن يوجد السد وبعد أن وجد، ولم يزالوا كذلك على مر الأزمان، ومع هذا فلم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنهم هم يأجوج ومأجوج، ولم يؤثر ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم ولا من بعدهم من العلماء، حتى جاء المتكلفون في آخر القرن الرابع عشر من الهجرة، فزعموا أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم !!

فهل يقول مسلم عاقل إن المتكلفين أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم بيأجوج ومأجوج ؟!!

أو يقول من له أدنى عقل ودين : إن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم إلى آخر القرن الرابع عشر من الهجرة، كانوا في غمرة من الجهل ساهون، حتى طلع عليهم نور الهداية والدلالة من أحد المتكلفين القائلين في حقيقة يأجوج ومأجوج بغير علم؟ كلا، لا يقول هذا مسلم عاقل.

وخروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال، كما جاء ذلك صريحًا في الأحاديث التي تقدم ذكرها قريبًا عن النواس بن سمعان، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلتراجع، ففيها أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم.

[كما] أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره قريبًا أن يأجوج ومأجوج إذا بعثوا، يمر أولهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، وجاء في حديث

حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما نحو ذلك، وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن يأجوج ومأجوج إذا خرجوا يطؤون البلاد فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه .
وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم؛ لأن الذين قد ملؤوا الأرض شرقًا وغربًا من أمم الكفار ، لم يقع منهم شيء مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج، فلم يهلكوا ما أتوا عليه، ولم ينقصوا ما عندهم من المياه، فضلا عن أن يشربوا بحيرة طبرية وينشفوها، مع أن بعضهم كانوا مجاورين لها أزمانًا طويلة" انتهى من "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر" (ص: 311-324)

الدخان.

"الدخان"، وقد تقدم أنه لم يحدد ترتيبه ضمن العلامات الكبرى؛ قال تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ **[الدخان: 10، 11].**

وثبت في الحديث عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدابة، والثالثة: الدجال) رواه الطبري (22/ 18)، ورواه الطبراني في الكبير (3/ 292)، وإسناده جيد.**

هذا، وقد ذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن المقصود بالدخان المذكور بالآية هو القحط الذي أصاب قريشًا يوم بدر.
والراجح ما تقدم من أن مقصود الآية أنه الدخان الذي يكون يوم القيامة؛ لأن الأحاديث تبين أنه لم يأتِ بعد، وأنه يكون قرب الساعة، وقوله تعالى: ﴿ **يَغْشَى النَّاسَ** ﴾ **[الدخان: 11]** دليل على العموم.
ولذا، رجح ابن كثير والنووي وغيرهم القول الأول، وبه قال حذيفة وابن عمر والحسن.

طلوع الشمس من مغربها.

ثبت في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن أول الآيات خروج الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا) رواه مسلم (2941)، وابن ماجه (4069).**

والمقصود بأولها إما أن يكون المراد بعد فتنة يأجوج ومأجوج، وبذلك لا تتعارض مع الأحاديث التي تبين أن أولها الدجال، وإما أنها أول العلامات المؤذنة بتغير أحوال الأرض.

قال تعالى: ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ **[الأنعام: 158].**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا)** رواه **البخاري (4635) (6506)، ومسلم (157).**

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا أبا ذر، هل تدري أين تذهب هذه؟)، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنها تذهب فتستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها)** **رواه البخاري (3199)، ومسلم (159).**

فإذا طلعت الشمس من مغربها، أغلق باب التوبة؛ لما ثبت في الصحيح: **(من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه) مسلم (2703)، وأحمد (2/ 275).**

خروج الدابة.

قال تعالى: **﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 82].**

ووقت خروجها قريب جدًّا لطلوع الشمس من مغربها، كما تقدم، ويكون في وقت الضحى.

وأصح ما ورد في الحديث عن أحوالها: ما رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه

وسلم: **(تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرن فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين)] رواه أحمد (5/ 268)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (322).**
معنى "تسم الناس على خراطيمهم": تجعل علامة على أنوفهم.

ثلاث خسفات.

وذلك لما تقدم في حديث حذيفة بن أسيد، وفيه قال رسول صلى الله عليه وسلم: **(إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب) مسلم (2901).** ولم يرد اي تفصيل في بيان الفترة ما بينها ولا ماذا سوف يحدث فيها.

النار التي تحشر الناس.

وهي آخر علامات الساعة والله اعلم وحسب ما ورد في الاحاديث لم يرد بعدها شيء كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا) البخاري (6522)، ومسلم (2861).**
ومعنى: "تقيل": من القيلولة، وهي النوم وسط النهار.

الفهرس

المراجع:

1- كتاب (التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة "دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة" الدكتور: (إبراهيم أحمد الديبو).
2- الاسلام سؤال وجواب.
3- شبكة الألوكة.

سيرة الكاتب:

علي ارشيد فلاح الموالي السردي مهاجر وكاتب اسباني اردني مقيم في اسبانيا في اقليم الاندلس وله كتاب سبق هذا الكتاب اسماه (**من عرف نفسه عرف الله**) صدر في الاردن عام 2014, وله كتاب جديد تحت التنقيح اسماه (**لا تشتكي**) وتم تقسيمه الى فصول وهذ الكتاب الجديد اسمه (**أَمَارَاتِ**) اسأل الله التوفيق.

للتواصل مع الكاتب:
babalhekmahorg@gmail.com

ملاحظة: هذه نسخة تجريبية تحت التنقيح وتوثيق الاحاديث واخراجها اسال الله ان يكتب لهذا الكتاب التوفيق القبول, قابل للتعديل او التصحيح او النقاش للمختصين لما فيه خير الجميع.